مجلة قەڵای زانست العلمية

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق

المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018

رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الليبرالية والتراجع عن مواصلة مباديئها الأنوارية

Liberalism and retreat from the continuation of its illuminational principles

الأستاذ الدكتور رشيد عمارة ياس

كلية العلوم السياسية/جامعةالسليمانية

المدرس محمد صابر كريم

كلية العلوم السياسية/جامعةالسليمانية

معلومات البحث

تاريخ البحث:
الاستلام: 2018/5/23
القبول: 2018/7/10
النشر: خريف 2018

Doi: 10.25212/lfu.qzj.3.4.13

الكلمات المفتاحية:
Liberalism, movement of lights, values, principles, church, philosophy, society, French physical school, bourgeois class,

الملخص

كانت الأنوار بمثابة عاصفة قوية وثورية قامت بإكتساح جذري لكل القيم والمباديء والأفكار والتقاليد التي بذرتها ونثرتها مؤسسات حكم الإقطاع والكنيسة الكاثوليكية طوال عصور الوسطى المعروفة بالقرونوسطوية،وبهذا مهدت هذه الحركة التي باتت تعرف بحركة الأنوار الفلسفية،المجال لقيام عصر جديد،تحركها وتغذيها قيم ومباديء جديدة تقوم على الأهداف الجوهرية للأنوار المتعلقة بالتقدم والحرية والعقلانية،وذلك بهدف تحرير الإنسان وإرجاع المكانة الحقيقية له،ومن ثم جعله سيد نفسه.

لقد أحدثت الأنوار تغيراً ثورياً وجباراً في كافة مجالات الحياة في المجتمعات التي قامت فيها،و من عملية التغير هذا برزت ونشأت تيارات ومدارس فكرية وفلسفية،وإتجاهات إجتماعية

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

progress and rational freedom.

سياسية عملوا على مواصلة تلك المشروع التقدمي والثوري الإنساني،كانت الليبرالية أحد أهم تلك الإتجاهات،إلى جانب مدرسة الماديين الفرنسيين.لكن وعلى الرغم من أنَّ الليبرالية،ونموذجها الكلاسيكي خاصة،وفي مرحلتها الأولى،قد أظهرت براعتها وقدرتها في السعي نحو تحقيق تلك الأهداف الجوهرية للأنوار،لاسيما قضية الحرية الفردية،إلا أنَّ كل ما خطته وشرعته الإتجاه الليبرالي على صعيد الفكري والفلسفي من أجل التجسيد الحي والفعلي لمباديء وقيم الأنوار في حركتها،قد إصطدمت بما صدرت منه تياره الإجتماعي السياسي المتمثل بالطبقة البرجوازية،من تطلعات وأهداف تتناقض كلياً مع تلكم المباديء والقيم والأهداف الجوهرية للأنوار الفلسفية..

المقدمة

كانت الليبرالية أحد تلك التيارات والمدارس الفكرية والفلسفية المهمة والرئيسة التي أتت بها التغيرات والتطورات الجوهرية الراديكالية للحركة المعروفة بحركة الأنوار،وهذا المد الفكري الفلسفي وضعت تأثيراً كبيراً وجباراً على الحياة السياسية وإجتماعية والإقتصادية والثقافية للمجتمع البشري في العصرين الحديث والمعاصر،بحيث أنَّ بعض من تلك المدارس والإتجاهات التي نشأت منها،مستمرة في لعب دورها وتأثيرها الحيوي والنشط في الحية الفكرية الفلسفية و الحياة السياإجتماعية في المرحلة التي نمر بها.لا بل فإنَّ بعضاً منها قد تطورت ضمن عملية تفاعل حيوي مع الواقع الموضوعي للمجتمعات المتقدمة بحيث تشعبت منها أو نتجت عنها ظهور و تكوين مدارس ونزعات فكرية وفلسفية أخرى جديدة،فعلى سبيل المثال تشعبت الفرانكفورتية من المدرسة أو الإتجاه الماركسي أو الفلسفة الماركسية والنفعية والنيوالليبرالية من الليبرالية.

إنَّ الليبرالية وبوصفها أحد تلك التيارات الفكرية المهمة والرئيسة التي أتت من رحم حركة التنوير تلك،ومن ثم أصبحت هي بمثابة أداة وطريقة تفكير وتنظير لأكثر من فيلسوف ومفكر كبير في الحياة الفكرية والفلسفية في العصرين الحديث والمعاصر،الذين كانت أفكارهم ونظرياتهم تحولت إلى

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

حجر الزاوية ونقطة إنطلاق في الدول التي ظهروا فيها وعملوا فيها،بحيث أصبحت أفكارهم تلك أحد الينابيع المهمة والحيوية لولادة ونشأة الحركات الديموقراطية والراديكالية الأخرى التي ساهمت و لعبت دورها المؤثر في الثورات الكبرى في العصر الحديث،ومنها الثورتين الأمريكية والفرنسية،والقسم الآخر راحت تلعب في إطار حركات أجتماسياسية قوية،بحيث تمكنت من الصعود إلى سدة الحكم والوصول إلى السلطة السياسية دون إستخدام للعنف أو القيام بالثورة،والتي تمثلها الحالة في بريطانيا.

عليه ولأهمية الأفكار والنظريات السياسية الحديثة التي ولدتها حركة الأنوار تلك،ودورها المباشر في نشأة وظهور الأفكار والنظريات التي إتخذت لفترة طابعاً ثورياً وراديكالياً،والتي حملتها التيار الليبرالي وبدأت تدعو إليها و تقوم بنشرها،ومن ثم وظفتها في إحداث وخلق تلكم الثورات والحركات التي قامت بإحداث تغير كبير ومهم في شكل وطبيعة النظام السياسي القائم في الدول التي حدثت فيها،وكانت عاملاً رئيسياً لقيام الديمقراطيات الصناعية والديموقراطيات الليبرالية بوصفهما شكلين ونموذجين جديدين للنظام السياسي في المجتمعات الصناعية الرئيسة والمتقدمة.وجدت دراسة هذا الدور والأثر الفكري والفلسفي لحركة الأنوار وإبراز مساهمتها العميقة في الحياة الفكرية والسياسية وإجتماعية والإقتصادية،في العصرين الحيدث والمعاصر، في إطار هذا البحث،وذلك لتناول أبرز ما تقوم عليه آراء وأفكار مفكري وفلاسفة هذه الحركة بخصوص الفكر الليبرالي وتيارها السياإجتماعي والنظرية الديموقراطية الحديثة.

إشكالية البحث

تمثل الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في أسئلة رئيسية عدة،من أهمها مدى تمكن فلسفة الأنوار من تبني المفاهيم والمباديء الرئيسة والجوهرية للفكر الليبرالي،التي وظفتها هذا الإتجاه في سيرورتها التاريخية،ومن ثم جعل تلك المفاهيم والمباديء كأداة فكرية فعالة في الدفاع عن توجهاتها وتنظيراتها تلك؟.ومن ثم هل نجحت الأنوار والحداثة المتولدة عنها في جعل الأدوات الفكرية والنظرية للإتجاه الليبرالي،في أن تكون تياراً أجتماسياسياً رئيساً للحقبة المابعد الأنوارية،تجسد أهم ماتقوم عليه وتدعوا إليه فكر وفلسفة حركة الأنوار في عملية بناء المجتمع الحديث والمعاصر سياسياً وإجتماعياً وإقتصادياً،بحيث تتمكن من مواجهة المفاهيم والمباديء التي تحاول وتريد تحوير إتجاهها و إبعاد محتواها الإنساني والثوري الأنواري ؟.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6558 (Print) - ISSN 2518-6566 (Online)

فرضية البحث

تقوم الفرضية الرئيسة لهذا البحث في أنَّ الحضور الحيوي للمفاهيم والمباديء الجوهرية لفكر وفلسفة حركة الأنوار في النشأة الفكرية والفلسفية لليبرالية،لاسيما نموذجها الكلاسيكي،فقضايا الحقوق والتحرر الإنساني ومفاهيم الحرية والعدالة،لم تتحقق على نحو سليم وحقيقي،ولم تتم التجسيد الحقيقي والواقعي لها عندما أصبح فكراً وفلسفة للطبقة التي خلقتها المجتمع الصناعي الرأسمالي الحديث،والتي هي الطبقة البرجوازية.فبتحول هذه الطبقة إلى طبقة حاكمة في النظام السياسي في المجتمع الحديث داخل الدولة الحديثة والتي تتبنى النظام الديموقراطي التمثيلي، أخذت تلكم الأفكار والمباديء الأنوارية تواجه من عملية تهميش وإقصاء كبيريين وعميقين.ذلك على الرغم من إستمرار بعض من فلاسفة ومفكري الإتجاه الليبرالي المعاصرين ومنظروها،بتبنيها والدعوة لها والأخذ بها كأدوات ووسائل للتنظير في تحقيق مقومات الدولة المعاصرة.

منهجية البحث

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على منهجيين أساسيين،الأول هو المنهج التاريخي كأداة و طريقة علمية لتقييم الوقائع والمعلومات التاريخية وتوظيفها علمياً في خدمة فرضية البحث الأساسية،والمنهج الثاني هو منهج التحليل السياسي كطريقة و وسيلة علمية لمعرفة و إستكشاف المعطيات و الحقائق التي كانت تقف وراء فلسفة الإتجاه الراديكالي للتنظير في العلاقات الدولية.

هيكلية البحث

تناولت البحث من خلال تقسيمه الى مبحثين رئيسيين،الأول يتناول الإطار النظري المفاهيمي لكل من حركة الأنوار و الإتجاه الليبرالي،وذلك في مطلبين أثنين،الأول يبحث في مفهوم الأنوار الفكري والفلسفي،والثاني يتناول في الليبرالية والليبرالية السياسية.أما المبحث الثاني فهو يبحث في الأنوار وكيفة التأسيس لليبرالية كتيار سيإجتماعي،وذلك من خلال مطلبين،المطلب الأول في يتناول دور الأنوار في التوظيف الفكري الأجتماسياسي الليبرالي،والمطلب الثاني يتناول الأنوار والبناء النظري للديمقراطية الحديثة.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المبحث الأول

الإطار النظري

مع إنَّ الليبرالية بشكل عام والليبرالية السياسية بشكل خاص،تقوم على مباديء وقيم أساسية، تشكل الحريات الفردية والحقوق السياسية للمواطن ومفاهيم كالمساواة والأخاء والعدالة إجتماعية من أهم تلك المباديء والقيم،ومن ثم من أهم المباديء والقيم التي يجب أن يقوم عليها أي نظام سياسي تدعي بأنَّها ديمقراطي ليبرالي،إلا أنَّ واقع التطور والسيرورة التي وصلت إليها المجتمعات التي تقوم نظامها ودساتيرها على تلك المباديء والقيم،هي نماذج من نظم سياسية تمارس فيها وتطبق فيها سياسات لاتجسد تلك المباديء والقيم الأساسية أو في أحسن الأحوال تجسدها بشكل ناقص ومشوه.عليه تشكل دراسة هذا الموضوع من خلال الإطار المفاهيمي لكلا مفهومي الأنوار والليبرالية في مبحث خاص،ضرورة أساسية في هذا البحث وذلك من خلال المطالب التالية:ـــ

المطلب الأول:في مفهوم الأنوار كتيار فكري فلسفي

المطلب الثاني:الليبرالية والليبرالية السياسية

المطلب الأول: في مفهوم الأنوار كتيار فكري فلسفي

عند بحث الأنوار بوصفها حركة فكرية وفلسفية،هناك إتجاهين فلسفيين رئيسيين تبحث في هذه الحركة،الأول وهي الإتجاه الماركسي،والتي ترى فيها تياراً فكرياً للفلاسفة الماديين في القرن الثامن عشر،وحول ذلك نستشهد بما قاله(فردريك أنجلز)،لابل نجده يعتبر هذه الفلسفة فرنسي النشأة والظهور،عندما يقول((كانت فلسفة الأنوار تلك المدرسة اللامعة من الماديين الفرنسيين[1] الذين جعلوا من

[1])مما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد هو أنَّ(فردريك أنجلز)والذي هو مع(كارل ماركس)،هما مؤسسا الفلسفة الماركسية،لا يقف عند ذلك الحد،في إرجاع وربط هذا التيار الفلسفي القوي والمهم في ذلك الحقبة الزمنية،بالمجتمع الفرنسي،بل أكثر من ذلك نجده يرى فيها(أي في مادية القرن الثامن عشر)بأنّها المنبع والصانع الرئيسي لأهم حدث سياسي في التاريخ السياسي الحديث،أي الثورة الفرنسية.فقد"كانت هناك صلة وثيقة بين الرجال الذين قاموا بالثورة الفرنسية وبين تلك

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

القرن الثامن عشر،بالرغم من جميع الإنتصارات البرية والبحرية التي أحرزها الإنكليز والألمان على الفرنسيين،قرناً فرنسياً في المقام الأول،حتى قبل أن تتوجه تلك الثورة الفرنسية التي لا تزال نحاول،نحن الذين لم يشاركوا فيها في ألمانيا ولا في إنكلترا،أن نؤقلم نتائجها))[2].

وبهذا المعنى يذهب البعض ومنهم(ستيفن إريك برونر)،إلى أنَّ أبرز مؤسسي[3]المدرسة الفرانكفورتية في كتابيهما(جدل التنوير)،يعتقدان بأنَّ"كلمة التنوير تتخذ معنى ثنائياً،فهي تشير إلى نظرية علمية محددة تاريخياً للمعرفة واجهت العقيدة الدينية في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر،وتشير أيضاً،وعلى نحو أوسع نطاقاً،إلى صراع أنثروربولوجي مع الخطأ و الخرافة التي ظهرت منذ ميلاد الحضارة"[4].

مايمكن أن نستشفه من جوهر ومحتوى الأنوار الفلسفية،يتمثل في أنَّ هذا التيار الفلسفي الذي هز أركان الفكر الفلسفي البشري،قد أصبحت أداتاً فكرياً فلسفياً لكل الإتجاهات والحركات السياإجتماعية التي أخذت تبرز وتتبلور شيئاً فشيئاً،والتي أخذت على عاتقها مهمة التصدي لرجعية وظلامية الفكر القرونوسطوية من جهة،والوقوف بوجه أنظمة الحكم المستبدة التي قابعت على مراكز السلطة السياسية للدولة في العصر الحديث.

والإتجاه الثاني،وهو الذي تهم هذه الدراسة،ترى في البرجوازية المتشكلة في تلك الحقبة،بأنَها قد سبقت التكوينات إجتماعية الأخرى في جعل الأنوار فكراً فلسفياً لها،لاسيما أنَّها كانت الطبقة الرئيسة

المدرسة اللامعة من الماديين الفرنسيين.بل إنَّها كانت عقيدة الثورة الفرنسية". جورج بوليتزر،فلسفة الأنوار،ت،جورج طرابيشي،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،1974،ص6.

[2])نقلاً عن:المرجع نفسه،ص5.

[3])في الإشارة إلى كل من(ماكس هوركهايمر)و(تيودور أدورنو)،الذين قاما بتأليف هذا الكتاب في(1947)،والذي كان في البداية قد صدرت تحت عنوان(شذرات فلسفية)،وذلك في عام(1944).

[4])ستيفن إريك برونر،النظرية النقدية مقدمة قصيرة جداً،ت،سارة عادل،ط1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2016،ص58.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

التي تناضل ضد بقايا سلطة الإقطاع والكنيسة الكاثوليكية[5].تأسيساً على ذلك فقد كانت"هذه الحركة[6]التي أخذت إرهاصاتها الأولية تبزغ مع بداية تشكل العلاقات البرجوازية في أوربا الغربية،ومن ثم راحت تنمو وتتبلور شيئاً فشيئاً مع كل مرحلة من مراحل نمو وتطور تلك العلاقات والقوى إجتماعية المرافقة لها،وصولاً إلى المرحلة التي أخذت تفرض نفسها فيها فكراً أصيلاً يعمل على محاربة كل الأفكار الأخرى التي ساهمت في عصور الظلام وعرقلة حرية الإنسان ومنعته من ممارسة حقوقه الطبيعية"[7].

لكن أنَّ الذي يجب قوله بهذا الصدد هو أنَّ البرجوازية لم تنجح في أن تصبح الوريث الشرعي،أو بالأحرى الحامل الحقيقي لفلسفة الأنوار،فإنطلاقاً من إيمانه[8]"بأنَّ المهمة التي يجب على السياسة أن تؤديها هي خدمة كل مصالح الإنسانية،هذا الشيء الذي لايوجد في الليبرالية،إذ وعلى الرغم من أنَّ المباديء التي تقوم عليها تتحدث عن البعد الإنساني،إلا أنَّها لا تراعي الواقع المعيش وطموحات الشعوب"[9].يرى (ميرلو بونتي)بأنَّه"نظراً لأنَّ الليبرالية تقوم بالفصل المطلق بين القرارات السياسية والتاريخ،لذلك كثيراً ما تبرز تناقضاً في سياساتها،ذلك عند نقل المباديء التي تقوم عليها من النظرية إلى التطبيق،إذ أنَّ الذي يلاحظ على الليبرالية هو وجود تناقض بين الواقع وماتدعيه من مباديء و قوانين"[10].

إنَّ الإعتقاد الفكري الأعلاه الذي طرحته وتبنته(ميرلوبونتي)فيه جانب كثير من الصحة و الواقعية،لاسيما أنَّها تؤكد على الجانب الإنساني،أو الإنسان بوصفها شعاراً وهدفاً قامت عليه فلسفة التنوير،والذي شكل محوراً مركزياً في هذه الفلسفة،قد تنصل منه البرجوازية،لا بل قد رماه خارجاً عندما

[5])يقصد بذلك سلطة رجال الدين الإكليروس،التي كانت إلى جانب سلطة الإقطاع،قلب المؤسسة الحاكمة و المهيمنة على مجتمعات أوربا طوال مرحلة المعروفة بالقرونوسطوية.

[6])في الإشارة إلى حركة الأنوار.

[7])عدنان عويد،الليبرالية المعاصرة:رؤية نقدية،النهج،مجلة،مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي، العدد(22)،ربيع(2000)،دمشق،ص131.

[8])في الإشارة إلى(ميلوبونتي)وهو من مفكري الفلسفة الماركسية المعاصرين.

[9])مجموعة مؤلفين،الفلسفة السياسية المعاصرة،تحرير،د،علي عبود المحمداوي،ط1،إبن النديم للنشر والتوزيع، بيروت،2012،ص205.

[10])المرجع نفسه،ص ص205،206.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أخذ الليبرالية وبصفتها الفلسفة السياسية التي تبنتها هذه الطبقة في بداية ظهورها بوصفها طبقة ثورية تقف بالضد من الناظم القديم المتمثل في الإقطاع والمؤسسة الكهنوتية،كما أسلفت.

إنَّ ما أحتوت عليه الأنوار بوصفها فكراً تقدمياً وفلسفة إنسانية،على معاداة وقلع جذور الفكر الديني القرونوسطوي من الفلسفة عموماً،هو ما فرضت على،أو بالأحرى تسببت إلى أن تتبناها الليبرالية وبوصفها تياراً فكرياً فلسفياً للبرجوازية كطبقة ذي ولادة ثورية.وبصدد ذلك الجوهر المعادي للفكر الكهنوتي تجاه المجتمع والإنسان بل حتى القومية،يقول(هلفتيوس)((لو كان من الممكن أن تختلط مصلحة الكاهن بالمصلحة القومية،لصارت الأديان توكيداً لكل قانون حكيم و إنساني.بيد أنَّ هذا الفرض محال،فمصلحة السلك الكهنوتي كانت في كل مكان منعزلة ومتميزة عن المصلحة العامة.إنَّ الحكم الكهنوتي،إبتداءً من اليهود إلى البابا،قد أزل على الدوام الأمة التي أقام بين ظهرانيها))[11].

في الواقع أنَّ الموضوع الأعلاه،والذي يشكل محوراً رئيسياً في هذه الدراسة،يأخذ بنا إلى بحث مفهوم مركزي وحيوي آخر بهذا الصدد،وهو الحداثة ـ modernity)،والذي تقول(بيتر تشايلدز) بأنَّها((ذلك الموقف الذي يتميز بمحاولته لوضع الإنسانية ولاسيما العقل البشري في قلب كل شيء،إبتداءً من الدين ومروراً بالطبيعة والعلاقات إجتماعية والإقتصاد والسياسة))[12].وفي هذا السياق،فإنَّه من الضروري الوقوف عند نقطة محورية تقف عليه تعريف الحداثة هذه،ألا وهي الإنسان وذاتيته،وضرورة حماية وتحرير هذا الكائن،وهذه الحقيقة وبتناقضه الواضح مع تطبيقات الفكر الليبرالي من قبل الطبقة البرجوازية،يظهر صحة وحقيقة ما نبحثه في هذا الشأن. ذلك عندما نرى بأنَّ"الحداثة جاءت بمشروعها لتخليص الإنسان من أوهامه وتحريره من قيوده و تفسير الكون تفسيراً عقلانياً واعياً،فإنَّ هذا المشروع لايتم مالم يقطع الإنسان صلته بالماضي و يهتم باللحظة الراهنة أي بالتجربة الإنسانية كما هي في لحظتها الآنية"[13].

---

[11])نقلاً عن:جورج بوليتزر،المرجع السابق،ص29.

[12])نقلاً عن:د.علي محمود المحمداوي،الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس نموذجاً،ط1،منشورات الإختلاف،الجزائر،2011،ص87.

[13]) د.علي محمود المحمداوي،المرجع السابق،ص87.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

كذلك، وفي السياق ذاته،تشكل مفهوم الحرية،محور آخر من محاور التماهي والترابط الوثيق بين كل من الأنوار والحداثة.إذ أنَّها تحتل مركزاً حيوياً ورئيسياً ليست فقط في حركة الأنوار بوصفها أهم حركة فلسفية ولدت من أحضانها المذاهب والتيارات الفكرية الفلسفية الرئيسة اللاحقة،بل إنتقلت هذا المفهوم وبنفس الدرجة من الحيوية والأهمية إلى(الحداثة ـ modernity)أيضاً،و التي هي[14] تشكل"إستمراراً للتنوير من حيث إنَّها إستمراراً لما في الأخيرة من قيم ليبرالية تتمثل في الحرية الفردية والعدالة وسيادة العقل ومايليها"[15].

إنَّ أهم مبدأ جاءت بها الأنوار وتبنتها،ومن ثم دعت إليها تتمثل في الحرية،كذلك فإنَّ أهم مبدأ أخذتها الليبرالية من تلك الفلسفة هي هذه الحرية،لكن ذلك لم تكن من قبيل الصدفة أو مجرد عمل إعتباطي،كلا بل كانت عن علم ووعي عميقين،فقد"ظهرت دلالة الحرية لدى الليبرالية بوصفها تعبر عن نقد للسلطات القائمة[16]والتبشير بالسلطة الجديدة التي تبلورت بفضل أعمال أبرز مفكري الأنوار،وفي مقدمتهم(جون لوك وديفيد هيوم وروسو وليسنغ وكانط...ألخ)،فقد كانت هناك في أفكارهم وفلسفتهم تشتمل المرتكزات النظرية التي سيستند عليها المذهب الليبرالي لاحقاً"[17].

كانت الأنوار وتشعباتها الفكرية الفلسفية قد هيأت الأرضية الخصبة،فلسفياً،للطبقة البرجوازية الصاعدة في المرحلة الأولى من الرأسمالية،فقد كانت هذه الطبقة في صراع مرير مع بقايا الإقطاع السياسي،والذي كان تتجسد في أنظمة الحكم المَلَكية المطلقة،كما أسلفت،بحاجة ماسة إلى أداة أو سلاح فكري فلسفي،فحول كيفية تحول فلسفة الأنوار إلى هذا الأداة،نجد(جورج سباين)يقول((أمّا نقد الحكم المَلَكي المستبد فكان في حاجة ملحة إلى فلسفة ما،...،وكانت فلسفة الثورة الإنجليزية جاهزة وفي متناول اليد.ففي القرن السابع عشر كانت الفلسفة والعلوم الفرنسية منطوية على نفسها نسبياً،وفي القرن الثامن عشر عندما تصلبت الديكارتية وصارت نوعاً من الفلسفة الكلامية،فإنَّها أزيحت عن قصد لتحل

[14])يقصد بذلك الحداثة.
[15])المرجع نفسه،ص97.
[16])في الإشارة إلى بقايا سلطة الإقطاع والكنيسة الكاثوليكية،التي تجسدت في بدايات العصر الحديث في الأنظمة المَلَكية المستبدة.
[17])د.عامر عبدزيد،الحداثة ومأزقها في خطاب مدرسة فرانكفورت،ط1،تموز طباعة نشر توزيع،دمشق،2013،ص23.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

محلها فلسفة(لوك)وعلوم(نيوتن)،وكانت هذه النتيجة في الفكر السياسي لابد منها بعد أن أدى إلغاء(مرسوم نانت)إلى جعل التسامح الديني جزءً من أية فلسفة إصلاحية وبفضل إقامة (فولتير)في إنجلترا فيما بين(1726ـ1729)وإقامة مونتسكيو بها عشر سنوات بعد ذلك،أصبحت فلسفة لوك أساس حركة التنوير الفرنسية وأصبح الإعجاب بالحكم الإنجليزي الفكرة الأساسية لليبرالية الفرنسية))[18].

لقد ساعدت مباديء وقيم حركة الأنوار على إرساء،أو بالأحرى في تغذية أنظمة الحكم الحديثة بأهم مقوماتها والتي أصبحت فيمابعد عناصر ومباديء أساسية في الدساتير الحديثة عموماً،و دساتير الأنظمة الديموقراطية المتقدمة والديموقراطية الليبرالية خصوصاً.فقد أدت هذه المباديء إلى أن "تسود الإعتقاد السائد بأنَّ الحكومات لا توجد إلا لدعم الحرية والأمن والتمتع بالمُلكية،وغيرها من الطيبات الفردية.ومن ثم يجب أن يهدف الإصلاح السياسي إلى تحقيق حكم مسؤل وجعله حكماً تمثيلياً والحد من المساويء والطغيان وإلغاء الإحتكار والإمتياز"[19].

تمتد جذور تلكم الإشكالية في العلاقة بين الأنوار والليبرالية،إلى نقاط جوهرية وأساسية تتمثل في عدم قيام الأخيرة بالحفاظ على المباديء والقيم الأساسية التي قامت عليها الأول ـ فلسفة الأنوارــ.فقد قامت الأنوار على"العقلانية والحرية والتقدم،وهي القيم التي شكلت المشروع الحضاري الثقافي الأوروبي(الغربي)عموماً،وبشرت بتحرير الإنسان من مختلف أشكال الإستعباد، وتحقيق سعادة الإنسان بواسطة المعرفة،وخاصة المعرفة العلمية،التي أعتبرت بمثابة الموجه لكل نشاطاته وفاعليته بقصد الخروج من وضعه السلبي"[20].لكن ونظراً لأنَّ المجتمع التي أقامه النظام الرأسمالي القائم على الفكر الليبرالي،إبتعد كثيراً عن تلك القيم والمباديء التي جاءت بها و أرساها الأنوار،وذلك عندما جعل،أو قام بتحوير كل مكتسبات التي أنجزها التقدم العلمي و التكنولوجي ليست في خدمة التحرر الإنساني الحقيقي،بل في خدمة السيطرة من نوع آخر تقوم على سيطرة الإنسان على الإنسان.وبهذا المعنى نجد(ماكس هوركايمر)يقول((غير أنَّ هذا المجتمع لايقوم على السيطرة على الطبيعة بالمعنى الضيق وعلى إختراع وسائل جديدة للإنتاج وإبتكار الآلات،بل يقوم كذلك على سيطرة البشر بعضهم على

[18])جورج سباين،تطور الفكر السياسي،ت،راشد البراوي،الكتاب الرابع،دار المعارف،مصر ،1971،ص740.
[19])المرجع نفسه،ص741.
[20])د.كمال بومنير ،جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت،ط1،منشورات الإختلاف،الجزائر ،2010، ص19.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

بعض.ومجمل الوسائل التي تؤدي إلى هذه السيطرة،وإلى الإجراءات التي تساعد على هذه السيطرة هي مانسميه السياسية))[21].

عليه وبناءً على تلكم الحقائق،يمكن الإستنتاج بأنَّ مفكري المدرسة الفرانكفورتية الكبار،و منهم(ماكس هوركايمر و تيودور أدورنو)وهما من مؤسسيها الرئيسيين،قد ساهما وإلى حد بعيد في كشف ذلك الدور السلبي للفكر الليبرالي،عندما أماطا اللثام عن،أو قاما بالكشف عن الوجه الحقيقي للفكر الليبرالي،لاسيما الليبرالية المعاصرة،والذي هو العمل على تثبيت سلطة النخب والجماعات المتنفذة داخل الطبقة البرجوازية في المجتمعات الصناعية المتقدمة.ومن ثم جعل النظام السياسي تقوم على الإحتكار واللاعدالة إجتماعية،وبهذا فإنَّ بنيان الحكم في هذه الدول تتوظف فقط لمصالح تلك الفئات والجماعات،وبهذا تصبح الحرية الإنسانية الحقيقية التي نادى بها الأنوار ودعت إليها دون وجود حقيقي وذات طابع طبقي،لابل مجرد وهم ليس غير.

المطلب الثاني:الليبرالية والليبرالية السياسية

تعتبر الليبرالية بوصفها تياراً فكرياً وفلسفياً تشعبت من فلسفة الأنوار،من التيارات الفكرية المهمة،التي تحظى بالإهتمام والرعاية الكبيرين من قبل أغلب المفكرين والمنظرين المعاصرين،و ذلك يرجع بما لهذا التيار من تأثير حيوي ومهم ليس فقط على صعيد الحياة الفكرية والفلسفية بعد الحقبة الأنوارية،بل على صعيد الحياة السياسية وإجتماعية في العصرين الحديث و المعاصر.فقد ساهمت الفكر والفلسفة الليبرالية في أكثر الأحداث السياسية وإجتماعية،وأكبرها أهمية،التي شهدتها تلك المرحلة التاريخية والتي مثلت ولادة ونشاة هذا التيار،ولاسيما دورها الواضح والكبير في أهم حدثين سياسيين عرفتها تلك المرحلة وهما الثورتين الأمريكية والفرنسية. عليه يكون من الضرورات البحثية،دراسة الجانب المفهومي والتطورات التي شهدتها هذا التيار في مطلب خاص.

تدل المعنى الإصطلاحي لمفهوم الليبرالية،على دلالة الحرية التي أصبحت تعرف هذا المفهوم بها،إذ ترجع إلى الأصل اللاتيني والتي تأتي من""ليبار"والتي تعني أنَّ الحرية هي الأصل في المطلب

[21])نقلاً عن:د.كمال بومنير ،المرجع السابق،ص28.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الإنساني والتي من دونها لايكون التاريخ ممكناً.ومقاصدها الأساسية تقوم على أنّ الإنسان سيد ذاته ويمتلك كل مقومات حقوقه الجوهرية النابعة من طبيعته الإنسانية"[22].

أمّا بخصوص الجانب المفهومي لليبرالية،فنجد(ديفيد هيلد)يعرف الليبرالية بـ((إنَّها مستخدمة للدلالة على المحاولة الرامية إلى الدفاع عن قيم حرية الإختيار،العقل والتسامح في مواجهة الطغيان ،نظام الإستبداد والتعصب الديني))[23].وبهذا المعنى هناك أيضاً من تعرف الليبرالية بأنَّها((قصة نجاح المعارك التي ذللت العقبات أمام الحرية الفردية،من مثل المَلَكية المطلقة،والتعصب الديني، والإمتيازات الإقتصادية،والحق الدستوري اللاديموقراطي،والفقر الناجم عن الرأسمالية المنفلتة من عقالها.وعلى ضوء ذلك،شكل الليبراليون،وعلى مدى قرون،رأس الحربة في تصدِّيهم لمهمة نقل المجتمع من حالة الطغيان الاقطاعي إلى منظومة من الحريات المتاحة للجميع على حد سواء))[24].

ومن جانبه فإنَّ(روبرت إكليشال)وعلى أساس تحديد الملامح البارزة للثورتين الأمريكية و الفرنسية،ركزت على الخطوط الأساسية لرؤية وتصور التيار الليبرالي والتي تجسد جملة إعتقادات هذا التيار،و تقول بـ((أنَّ المجتمع هو بنية من الحقوق المتساوية،يكون الجميع في ظلّها مواطنين،وليس سلسلة من القواعد المفروضة التي تفصل أقليّة حاكمة عن الجماهير المحكومة،و نفاذ صبرها[25]من أولئك الذين أحاطوا السلطة السياسية بالغموض،من أمثال أدموند بيرك[26]،بدلاً من تقيمها على ضوء مباديء مستوعبة في عقل الفرد،وكذلك إقتناعها ليس فقط بأن تكون الحكومة عرضة للمساءلة بشكل

---

[22])الناصر عبد اللاوي،الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس،ط1،دار الفارابي،بيروت،2012،ص88.

[23]) ديفيد هيلد،نماذج ديمقراطية،ت،فاضل جتكر،ج1،ط1،معهد الدراسات الإستراتيجية،بيروت،2006،ص135.

[24])مجموعة من المؤلفين،الأيديولوجيات السياسية،ت،عباس عباس،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2009،ص32.

[25])يقصد بذلك تيار الليبرالية.

[26])وهو من أبرز مفكري التيار(المحافظي)،ومن أشد خصوم المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية التي تتبنى التقدم والتغير الثوري للمجتمع،نهجاً وأيديولوجية رئيسة لها.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ديموقراطي،بل وأن يتمتع الأفراد أيضاً بمسؤولية كافية لتدبير شؤونهم في ميادين واسعة من حياتهم،دون مساعدة من قبل دولة وصائية أو تدخليّة))[27].

إنَّ أقرب وأبرز نقطة التماهي الفكري بين الليبرالية الكلاسيكية والمباديء الفكرية لحركة الأنوار،تجسدها بعدها النظري المميز بطابع المافوق طبقية أوما دون طبقيتها،إذ أنَّ "الدولة الليبرالية لا تنشأ كي تدافع عن،أو تنشر نموذجاً معيناً للسعادة والفضيلة ـ لأنّ هذا يحد من حرية الفرد ويدفعها للإتجاه نحو مصالح ورغبات قد لا ترغب هي فيها ـ،ولكنها تنشأ(أي الدولة) لتدافع عن سعادة وفضيلة قررها ورغب فيها الفرد بعيداً عن الدولة ورقابتها،ومن ثم فإنَّ دورها هنا يقتصر كما يقر الفكر الليبرالي،على تحقيق حالة((التعايش السلمي))بين الأفراد والمجتمع"[28].

لعّل ذلك الإهتمام والتركيز المحوري لليبرالية على قضية الحرية الفردية،ترجع إلى ذلك التأثير العميق للحداثة التي وضعتها عليها،إذ نرى(ديفيد هيلد)يقول بأنَّه((تدريجياً ما لبثت الليبرالية إقترنت بالعقيدة التي تقول بوجوب تمتع الأفراد بحرية إتباع مايفضلونه في سائر الشؤون الدينية ،الإقتصادية والسياسية.وفي معظم المسائل المؤثرة في الحياة اليومية في الحقيقة))[29].

نظراً لكون مفهوم الحرية الفردية تلك،جوهر وأساس العقيدة والتيار الليبرالي،لذلك فإنَّ التعمق في بحث هذه العلاقة الوثيقة والحيوية بين الأثنين،تشكل محوراً حيوياً في هذه الدراسة،وذلك من أجل الوصول إلى البناء المفهومي والنظري لهذا التيار،لاسيما وأنَّ هذه الحرية تصبح في المراحل اللاحقة من سيرورة هذا التيار،معياراً ومؤشراً رئيسياً للحكم على مدى نجاح الإتجاه الليبرالي في إثبات وبرهنة أصلها الأنواري والحداثوي.فبما أنَّ مفهوم الحرية هي المؤشر والدلالة الرئيسة لتصديق ذلك الأصل والمرجع الأنواري لليبرالية،فإنَّها كذلك المعيار الرئيس للحكم على إبتعادها وتنصلها منها في الحقب اللاحقة من تطور هذا التيار.

---

[27])نقلاً عن:المرجع نفسه،ص34.
[28])عدنان عويد،المرجع السابق،ص130.
[29])ديفيد هيلد،المرجع السابق،ص136.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

مما لاشك فيه هو أنَّه ليس هناك من فيلسوف ومفكر ليبرالي،سواء في حقبتها الكلاسيكية،أو المعاصرة،لا يدعون ولا يتباهون بكون الليبرالية المرجعية الوحيدة والرصينة لقضية ومفهوم الحرية الفردية،ومن ثم محاولتهم إعتبار هذا التيار بمثابة الحامي الوحيد والمحقق الرئيسي و التاريخي لها.وبهذا الخصوص نشير إلى أنَّ"مقولة الحرية هي المقولة التي يحرص المذهب الليبرالي على إبرازها في تحديد ذاته،ونقد مخالفيه،وكأنّه هو وحده الذي ينزع نحو الحرية ويحلم بتجسيدها إنطلاقاً من هذه المقولة النظرية التي يجري تحديد طبيعة المنظور الليبرالي لمختلف مجالات الكينونة والإنسان"[30].

في السياق ذاته تشكل قضية الحرية الفردية أحد أهم الإشكاليات التي تعاني منها الليبرالية، بنموذجيها الكلاسيكي والجديد(المعاصر)،إذ وعلى الرغم من الإعتقادات الأعلاه والتي تؤكد على المحتوى و الطابع الفردي للحرية،هناك إتجاه آخر على عكس من ذلك،تمثله مفكرين أساسيين من الليبرالية الكلاسيكية،وهما(ستيوارت ميل وسبنسر)،فقد كان"دفاعهما عن الفرد لم يكن في التدليل على أنَّ الحرية تنفع الفرد وتهمّه،بل وبخلاف ذلك،في التدليل على أنَّها تنفع المجتمع و تهمّه"[31].وبهذا الصدد نشير إلى ماكان تعنيه مفهوم(الفردية)لدى(هربرت سبنسر)،إذ كان"تصارع بإستمرار في جو مناصر للجماعية داخل علم إجتماعه.ويتضح في النهاية أنَّ(سبنسر)كما(ستيوارت ميل)كانا يعاملان الأفراد لتأهيلهم للمجتمع بقسوة هي ذاتها،وكانت الأولوية حتى هذه النقطة للعنصر الجماعي،هو الأرضية الواضحة بذاتها التي ترقص فوقها افكارهم بسذاجة"[32].

هكذا وإرتباطاً بالحقيقة الأعلاه بصدد أهمية وحيوية قضية ومفهوم الحرية لدى الإتجاه الليبرالي،نشير إلى أنَّ هذه القضية أصبحت من أهم محاور ومسائل المطروحة لدى المفكرين و المنظرين الليبراليين المعاصرين،لا بل ومشكلة فكرية ونظرية رئيسة لديهم.وفي هذا السياق و تأكيداً لهذه الحقيقة،نشير إلى الإسهام الكبير لـ(جون راولز)في أهم دراسة[33]له في موضوع الحرية، يبحث فيها وذلك عندما أكّد على"طبيعة الحرية العميقة والمتسقة مع مقتضياتها إجتماعية، على خلاف طبيعتها

---

[30]) د.عامر عبدزيد،المرجع السابق،ص23.
[31])خوسه أورتغا إي غاسيت،تمرد الجماهير،ت،علي إبراهيم أشقر،ط1،دار التكوين،دمشق،2011،ص24.
[32])المرجع نفسه،ص25.
[33])في الإشارة إلى (نظرية العدالة).

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الصورية[34]في النموذج النيوليبرالي المتوحش،مُؤكدًا أنَّ النموذج الليبرالي المُستدام ينطوي على حريةٍ حقيقية متمّثلة في القُدرات الفردية المُضمّنة في ثنايا المساواة إجتماعية والضامنة لتكافؤ الفرص في المُسبق الأوّلي،مايتجلى من خلال دور نظام التربية والتعليم من جهة ونظام الضريبة على المواريث والهِبات من جهةٍ أخرى في تأمين المساواة بين الأفراد من حيث الفرص والقُدرات والآمال والتطلعات،فضلاً عن أدوار تكميلية قد تقوم بها السياسات العامة،ولاسيما سياسات التميز الإيجابي"[35].

إنَّ ذلك تشكل تحولاً مهماً في الفكر الليبرالي وبخصوص أهم مرتكزاته المفاهيمية،والتي تتجسد في التحول من مفهوم الحرية الفردية،التي تشكل جوهر النظرية الليبرالية،إلى الحرية الجماعية، تتطور في سيرورتها التاريخية لترتبط بمفهوم الطبقة إجتماعية الحاملة لها،إذ"إنَّ ما تؤكد عليه الليبرالية هو أنَّ الحرية للأفراد أهم مما هي للجماعة،وهذا لايعني أنَّ عدم إنسجام الجماعة مع الليبرالية،وإنَّما يعني ضرورة معرفة الصالح العام للجماعة بما لا يقلل من الحرية.والحقيقة أنَّ قبول الجماعات مقروناً بقدر ممارستها معايير مؤدية إلى حرية أوسع"[36].إنَّ وجهة النظر هذه،وكما يراها البعض ومنهم(ستيفن ديلو،تيموثي ديل)،تأتي لـ"تجسد بما لاشك فيه دفاع أحد مؤسسي الليبرالية[37]عن المصالح العامة الكلية لطبقة جديدة،هي الطبقة البرجوازية،أوالطبقة المتوسطة، هذه الطبقة التي تعرضت للمدح والقدح.إحتفى بها كتّاب مثل(هوبز)و(لوك) و(كانط)،حيث يراها كل منهم الجيش الداعم للحرية"[38].

في الحقيقة أنَّ ذلك التحول الفكري في الإتجاه الليبرالي،والتي شرعت في إدخاله المباشر إلى الفضاء العام المجتمعي،شكلت أهم مقومات الليبرالية السياسية،فقد أصبحت المجتمع الحديث أكثر

---

[34])لدى(جون راولز)هناك تميز جوهري بين الحرية الحقيقية والحرية الصورية،فالأول تعني لديه"الوصول إلى الأصول إجتماعية الأولية،والتي يُحدّدها في قائمة ذات طبيعةٍ مؤسّساتية تضمّ الفئات التالية:الحريات الأساسية والفرص الممنوحة للأفراد والسلطات والإمتيازات والدخل والثروة".مراد دياني،حرية ـ مساواة ـ إندماج إجتماعي،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت،2014،الهامش،ص90.

[35])المرجع نفسه،ص24.

[36]) ستيفن ديلو،تيموثي ديل،التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني،ت،ربيع وهبه،ط1،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2010،ص280.

[37]) في الإشارة إلى هوبز.

[38])المرجع نفسه.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

إرتباطاً بالعملية السياسية من خلال طبيعة الدولة الحديثة،التي ظهرت معهما الليبرالية.و بهذا الصدد تجدر الإشارة إلى ما لعبه المفكرون الأنواريون من دور كبير في تقديم أو تهيئة الأرضية المناسبة للتيار الليبرالي،وذلك من خلال"إشاعتهم لمفاهيم مؤسّسة لليبرالية السياسية وإرتباطها بالديمقراطية،ومفهوم سيادة الشعب وصيانة حقوق الأفراد والحيلولة دون طغيان الحكّام،وذلك بوضع أسس محاسبتهم وردعهم"[39].

لقد تجسدت أهم تلك القيم والمباديء التي قامت عليها الليبرالية بوصفها تياراً فكرياً فلسفياً، في الليبرالية السياسية،هذا مايؤكده(سيبرتان غيوم بلان)عندما يقول((يعتبر التحرر من كل علاقات التبعية والمساواة أمام القانون والإعتراف بالحرية السياسية في"قبول القانون"والمساهمة في الشؤون القضائية والوظائف العمومية والتفاوض بشأن المصلحة المشتركة،بمثابة إنتصارات لليبرالية السياسية ضد مباديء توريث الحقوق والإمتيازات التي يدافع عنها المحافظون المناهضون للثورة))[40].

غير أنَّ ذلك لا تأتي بمعنى التطابق والتماهي التام بينهما[41]،بل أنَّ هذه العلاقة"تتجاوز علاقة العام الذي تعبّر عنه الأولى بالخاص الذي تعبّر عنه الثانية.وتتمثل الفكرة،في هذا السياق،في أنَّه على الرغم من تبرير مفهوم العدالة،على سبيل المثال،في الثانية وإستقاء مبادئها في الأولى،فإنَّ العدالة الليبرالية السياسية تتجاوز الليبرالية بصفتها فلسفة،لتقف على مسافة منها تظل أقل من مثيلاتها بالمعنى المذهبي والأعتقادي الشامل"[42].

في هذا السياق يبقى أن نشير إلى أنَّ الليبرالية السياسية والتي هي اليوم أحد الأنساق الحيوية في الإتجاه الليبرالي،قد أدى إلى زج المذهب نفسه إلى معترك الحياة السياسية في الفضاء السياسي[43] الذي توجد فيه،لاسيما التياريين الرئيسيين في هذا الفضاء،اليمين واليسار،حيث"أنَّ التناقض بين يمين

---

[39]) د.عايدة الجوهري،اليسار الماهية والدور،ط1،دار الفارابي،بيروت،2016،ص94.

[40])سيبرتان غيوم بلان،الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين،ت،عزالدين الخطابي،ط1،بيروت،2011، ص48.

[41])ويقصد بين الليبرالية بوصفها مذهبًا فلسفيًا شاملاً والليبرالية السياسية بوصفها نسقاً من أنساقها.

[42])محمد عثمان محمود،العدالة إجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت،2014،ص156.

[43])ويقصد به الدول الديموقراطية الصناعية المتقدمة،والديموقراطيات الليبرالية.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

أنصار الليبرالية الإقتصادية المتطرفة التي تندرج في سياق النزعة الليبرتارية التحررية،كما هو الحال عند(نوزيك)وكل من(هايك وفريدمان)،بوصفهما المنظرين الأكثر أهمية لليبرالية الجديدة ،وبين أولئك الأكثر ميلاً إلى اليسار من أنصار الليبرالية إجتماعية أو ليبرالية العدالة إجتماعية التي يمثلها(جون راولز)،تعدّ من السمات المعاصرة المهمة التي تستطيع المرء من خلالها فهم الليبرالية وتمييز التوجهات والتيارات داخلها"[44].

وبهذا وتأسيساً على ذلك يمكننا الوصول إلى إستنتاجات عدة،منها أنَّ الليبرالية السياسية و بصفتها طيفاً سياسياً،أو بالأحرى بتدشين نفسها في بوتقة العمل السياسي بوصفها تياراً رئيساً ،لابل ومهيمناً من التيارات السياسية الرئيسة في الدول الرأسمالية المتقدمة،قد عملت على المزيد من التنافر والإبتعاد العميقين مع مباديئها وقيمها الأساسية،لاسيما مايتعلق بالحقوق والحريات الفردية والمساواة والعدالة إجتماعية.كذلك يمكن الإستنتاج بأنَّ إعتلاء قضية الحرية الفردية لتكون جوهر وأهم مرتكز فكري تقوم عليها الليبرالية،إنَّما ناتج،أو بالأحرى نابع إلى ما للحداثة من تأثير عميق على مفكري ومنظري التيار الليبرالي.وفي هذا إشارة واضحة إلى كيف تم توظيف الأنوار والحدائة من قبل فلاسفة ومفكري هذا التيار في التأسيس له،بحيث أصبح،بدورها،جزءً مهماً وحيوياً،وفي خطوة لاحقة في عملية التأسيس لظاهرة جديدة ومعاصرة في الحياة السياسية، وتحديداً على صعيد النظام السياسي،والتي باتت تعرف بـ(الديموقراطية الليبرالية)،في قسم الأعظم من الدول التي تبنت الديموقراطية التمثيلية نظاماً رئيسياً لها.

المبحث الثاني

الأنوار وكيفة التأسيس لليبرالية كتيار سيإجتماعي

مما لاشك فيه هو أنَّ الإتجاه الليبرالي وبوصفها فلسفة وتياراً سياإجتماعية في المرحلة التي نعيشها،تجسد سياسات وممارسات،بل أفكار ونظريات لا تنسجم ولاتتطابق مع ما جاءت بها و دعت إليها عند ظهورها وتأسيسها من مباديء وقيم تحمل وتطبع الأهداف والشعارات الإنسانية والراديكالية،أي في

[44]) محمد عثمان محمود،المرجع السابق،ص ص78،79.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

نموذجها الكلاسيكي،تلك المباديء والقيم التي ورثتها،أو بالأحرى أخذتها من فلسفة الأنوار وحركتها الثورية.عليه نبحث هذا الجانب من موضوع الدراسة،في خلال المطلبين التاليين :ـ

1ــ المطلب الأول:الأنوار والتوظيف الفكري الأجتماسياسي الليبرالي

2ــ المطلب الثاني:الأنوار والبناء النظري للديمقراطية الحديثة

المطلب الأول:الأنوار والتوظيف الفكري الأجتماسياسي الليبرالي

لقد أدت دفاع الليبراليين عن الحرية والحقوق الفردية إلى تحول الليبرالية من تيار فكري فلسفي إلى تيار إجتماعي ـ سياسي،تدعو إلى ضمان تحقيق وتطبيق هذه المباديء الجوهرية بشكل كامل في المجتمع السياسي ومؤسساتها المركزية وفي مقدمتها الدولة.ومن ثم طبعت أو تمكنت من أن تتحول إلى تيار فكري راديكالي تستمد منها الحركات والثورات المندلعة ضد بقايا حكم الأقطاع والأرستقراطيون وطبقة النبلاء المتحالفة معهم،هؤلاء الذين مازالوا في قمة السلطة السياسية و بيدهم مقاليد الحكم في مؤسسة الدولة الموجودة في الحقبة المعروفة بالحكومات المستبدة أو المَلَكيات المطلقة،لذلك وجدت،أو بعبارة أدق كان لزاماً على الطبقة الجديدة[45]والصاعدة بوجه السلطة السياسية المتمثلة في هؤلاء الطبقات والشرائح إجتماعية أن تتبنى هذه المباديء كأهداف رئيسية لها وشعاراً لحركتها السياسية.

هذا ما نجده بشكل واضح في الثورة الفرنسية،فكما يقول(جان جاك شوفالييه):((في عام 1789، فرضت الصيغة الليبرالية للفردية المسيطرة نفسها نتيجة ضغط الشريحة العليا من الطبقة الثالثة.لقد سمحت الإنطلاقة الكبرى في الأشهر الأولى للثورة بصياغة الحقوق الفردية صياغة رسمية على الطريقة الأمريكية،بل إنَّها كانت تتطلب ذلك))[46].هكذا وفي تأكيد قوي لأنَّ الحركة أو التيار الفكري لليبرالية هي التي قادت تلك المجتمعات المتقدمة،سيما من الناحية الصناعية،إلى التحديث السياسي من خلال الحركات والثورات التي قادتها الطبقة البرجوازية وإزاحتها للطبقات والشرائح القديمة في سدة

[45]) يقصد بذلك الطبقة البرجوازية أو ماكان يسمى بالطبقة الثالثة.

[46])جان جاك شوفالييه،تاريخ الفكر السياسي،ت،د.محمد عرب صاصيلا،ط3،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت،2002،ص13.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الحكم في دولهم،يقول(شوفالية):((إنَّ نفس الحركة الفكرية كانت قد قادت الإنكليز نحو الحكم التمثيلي.وقد قادت نحوه،منذ عام 1789،الفرنسيين.لقد أدت هذه الحركة لإلغاء الحكم المطلق للفرد،الذي يُعتبر الشكل الأكثر بشاعة لكل التركيبات السياسية))[47].

غالباً وعند بحث مفهوم الليبرالية يبرز أمامنا نقطة مهمة تستوجب الوقوف عندها وبحثها بشيء من التفصيل،وهي كيف أصبح الحريات الفردية والحقوق السياسية للمواطن ومفاهيم كالمساواة والأخاء والعدالة إجتماعية والتمثيل الشعبي في إطار الهيئات أو المجالس التشريعية مباديء وقيم أساسية في الفكر الليبرالي بشكل عام والليبرالية السياسية بشكل خاص؟.

بهذا الخصوص تحتم الرجوع إلى(جون لوك)والذي هو بمثابة أحد مؤسسي النظام الليبرالي الديمقراطي وأحد أهم مبتكري الليبرالية السياسية،فقد جعل من مفهوم الحقوق الطبيعية نقطة محورية وأساسية عند بحثه عن"طبيعة الدولة وحدود سلطتها،إنطلق ممّا سمّاه الحالة الطبيعية التي تحكمها القوانين الطبيعية ـ Nature Laws ـ التي تحدّد الحقوق والواجبات بمعزل عن المشرّع البشري"[48].وفي ذلك إشارة واضحة على أنَّ موضوع الحقوق المرتبطة بمفهوم القانون الطبيعي كموضوع محوري لدى أغلب مفكري وفلاسفة هذا التيار الفكري،شكلت الأساس الحقيقي للإنطلاق إلى كافة المواضيع والقضايا المتفرعة عنها،وبهذا تمخضت عن هذه الأفكار في محصلتها الأخيرة تبلور النمط الكلاسيكي لليبرالية التي"تتميز بالإيمان بدولة الحد الأدنى،التي تقتصر وظيفتها على حفظ النظام والأمن الداخلي"[49].

عليه يمكن القول بأنَّ عملية تنظيم البنى والأجهزة الرئيسية في الدولة التي تهتم بهذه القضايا وفي مقدمتها الأجهزة القضائية والإدارية،تتطلب أن لاتجري تنظيم هذه المسائل في الدولة بشكل أعتباطي دون وجود دور لمؤسسات الدولة تلك.

[47]) المرجع نفسه،ص143.
[48]) د.عايدة الجوهري،المرجع السابق،ص89.
[49])أندرو هيود،مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية،ت،محمد صفار،ط1،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2012، ،ص40.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

كان لإنتشار أو لهيمنة الدول ذات الأنظمة الإستبدادية المعروفة بالمَلَكيات المطلقة طول الفترة الواقعة قبل الثورة الفرنسية[50]،من ناحية وظهور الحركة التجارية والثورة الصناعية العظيمة في إنكلترا،من ناحية ثانية،دوراً كبيراً في قيادة الطبقة البرجوازية للحركات التي تطالب بالحرية و تحقيق تلك الحقوق المذكورة أعلاه والتي كانت مهمشة ومقموعة تحت ظل تلك المَلَكيات.إنَّ عملية القيادة تلك فسحت المجال لهذه الطبقة لكي تعتنق الأفكار والمباديء التي تجسد هذه الحقوق والحريات،والتي حملتها ونادت بها الليبرالية،فبصدد الأول أي سيادة المَلَكيات المطلقة أو كما يسمى بالإستبداد المستنير،هناك من يذهب بالقول ومنهم(أندريوهيود)إلى أنَّه"في القرن الثامن عشر كان الكلام يجري،دونما فرق،عن الحرية وعن الحريات،وبدت الليبرالية،كضمان للحريات،وكعقيدة للحرية.وإختلاط الألفاظ(ليبرالية وحريات وحرية)كان بادياً في ظل مَلَكية تموز ،وبدت الليبرالية كفلسفة مختصة بطبقة البرجوازية حيث لم تؤمن الحرية إلا لهذه الأخيرة"[51].

إنَّ أهم نقطة محورية بهذا الصدد،تتمثل في السؤال الذي يقول كيف تمكنت الطبقة البرجوازية، وهي الطبقة الحامل الرئيسي لليبرالية،من جعل المشاركة السياسية للفرد أو المواطن محوراً و مطلباً رئيسياً من برنامجها السياسي وممارستها السياسية؟،يجب التوقف عند نقطة مهمة تتمثل في كيف تحولت موضوع الحقوق والحرية الفردية من مطلب إنساني عام إلى مطلب وشعار وقضية تتبناها طبقة إجتماعية بعينها وهي الطبقة البرجوازية؟،أو بالأحرى يمكن طرح هذه المسألة في إطار السؤال التالي هل أراد الفلاسفة والمفكرون الليبراليون،سيما الأوائل،أن يكون أفكارهم و نظرياتهم في إطار حركة إجتماعية

[50])يجدر الإشارة إلى أنَّ القرن السابع عشر هو القرن الذي يسوده المَلَكيات المطلقة أو الأنظمة الأستبدادية،ولهذا فأنَّه بدا وكأنَّه تجسيد لذروة الأطلاقية،ويعود سبب ذلك إلى وجود"أزمات سياسية وحروب:حرب الثلاثين سنة (1618 - 1648)،تنفيذ حكم الإعدام بشارل الأول(1649)،إستبدال جاك الثاني بغليوم دورانج(1688)، إضطرابات في البلدان المنخفضة،والخ....".جان توشار ،لويس بودان،بيار جانين،وآخرون،تاريخ الفكر السياسي، ت،د،علي مقلد،ط1،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1981،ص249.هكذا خرجت من تلك لأزمات و الحوادث العميقة،ولادة و ظهور أنظمة استبدادية اطلاقية،إذ"إنَّ دكتاتورية كرومويل جاءت بعد ثورة 1649،و إطلاقية لويس الرابع عشر كانت متأثرة تأثراً عميقاً بذكرى حروب الفروند الفرنسية وموضوع السلم المدني الذي كان يسيطر على الفكر السياسي في القرن السابع عشر".المرجع نفسه،ص252.

[51])المرجع نفسه،ص403.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

انسانية عامة،أم في إطار نضال طبقة إجتماعية معينة تتبناها في مرحلة كفاحها من أجل إستلام السلطة السياسية بناء النظام السياسي الخاص بها،ومن ثم التراجع عنها شيئاً فشيئاً بعد أن تتمكن من ترسيخ أقدامها في السلطة السياسية والأستحواذ على كافة المؤسسات والهيئات التي تتألف منها الدولة المدارة من قبل تلك السلطة؟.

في مطلع محاولة الإجابة على السؤال المطروح أعلاه،هناك حقيقة تجدر الإشارة إليها وتكمن في أنَّه"لقد سبقت الليبرالية بوصفها تياراً فكرياً وأجتماسياسياً،تجارب أخرى في الحياة السياسية في طرح مفهوم المشاركة السياسية كشرط من شروط الحرية،وربطها- أي الحرية – بتحقيق الجماعة أي الجماعة السياسية لوجودها،وفي هذا إشارة إلى تحقيق حرية الفرد والمواطنين من خلال إرتباطهم وكونهم أعضاء نشطين في الجماعة التي ينتمون إليها"[52].

في الإرتباط بذلك تجدر الإشارة إلى أنَّ موضوع المشاركة السياسية كشرط من شروط الحرية، تمثل الموضوع المحوري بالنسبة إلى معظم مفكري ومنظري الليبرالية الأوائل،فقد نرى(جون ستيوارت ميل)يعمل ومن خلال عمله الفكري القيم والكبير لبناء النظرية الليبرالية السياسية،لكي يؤسس من مفهومه الأول(المنفعة)والتي هي المفهوم المركزي والأساسي في تشكل هذه النظرية كما أسلفت،المفهوم المركزي الثاني والتي هي مفهوم(الحرية)،إذ نجد(أ.د.ليندساي)تقول بهذا الصدد((يوجد بعض المنافع إجتماعية لها أهمية أكبر،ومن ثم فهي ملزمة ومطلقة – من أية منافع أخرى –،وأعظم هذه المنافع إجتماعية،في رأي (مل)،هو الحرية،وبينما يبدو مذهب المنفعة وكأنه يذهب إلى أنَّ كل شسء يجب أن يخدم السعادة إجتماعية،فإنَّنا لايمكننا أن نضع مباديء مطلقة فيما يتعلق بماهية السعادة،ولكن علينا أن نتبع إرشادات التجربة،فإنَّ اطروحته عن الحرية تأكيد بليغ لمبدأ هو أحد الأسس الحقيقة للسعادة إجتماعية))[53].

إنَّ القضية الأعلاه تشكل بحد ذاتها أحد الإشكاليات الرئيسة والجوهرية التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عليها ومعالجتها علمياً،فالحرية والحقوق السياسية لدى الفرد لايمكن تحقيقها و ضمانها دون أن يكون هناك المشاركة السياسية الحقيقية والمساواة والأخاء والعدالة إجتماعية والتمثيل الشعبي

[52]) ديفيد هيلد،المرجع السابق،ص103.

[53])جون ستيوارت مل،الليبرالية السياسية،ت،د.إمام عبدالفتاح إمام،د.ميشيل مسياسي،مكتبة مدبولي،القاهرة، 1996،ص23.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

في إطار الهيئات أو المجالس التشريعية وكذلك القاعدة الدستورية للحكم،بهذا الصدد،تجدر الإشارة إلى أنَّ الحرية كمبدأ سامي في العصر الحديث يرتقي ليرتبط بأهم تكوين إجتماعي وهو النظام الإجتماعي،إذ أنَّ هذا النظام"يخلقه قرار الأفراد الذين يخضعون لسلطة ((لوياثان))أو لـ((الإرادة العامة))التي يعبّر عنها العقد الإجتماعي،إنَّ النظام الإجتماعي لا ينبغي أن يُناط بشيء إلا بالقرار الإنساني الحر"[54].

بناءً على ماتقدم يمكن القول بأنَّ القاعدة الطبقية لليبرالية السياسية وجذورها تكمن في أنَّ الطبقة الحامل الرئيسي لهذا التيار رأت،أو بعبارة أدق وجدت في القضية الرئيسية والمطروحة بأكبر وأوسع الزخم والتأثير في المرحلة المابعد القرونوسطوية،أي في حقبة المعروفة بعصر النهضة،والتي تتجسد في ظاهرة الفردية التي بدأت تتشكل وتتبلور بعمق وقوة في إطار حركة وليدة من إحشاء حركة الأنوار والتي أصبحت فيمابعد تطلق عليها بالـ(الفردانية)[55]،أقوى قضية و مادة لكي تتبناها وهي تقود نضالها الشاق من أجل الوصول إلى السلطة السياسية ومن ثم بناء نظامها السياسي الخاص بها في الدولة الحديثة ومن ثم المعاصرة.

تشكل كل من مفهوم(المساواة))وبوصفهامفهوماً مركزياً وأساسياً،إلى جانب مفهوم((الحرية))، مفهومين ومبدأين أساسيين في الليبرالية السياسية،مع معرفة هذه الحقيقة يمكن العثور على الدوافع الطبقية،أو بالأحرى الجذور الطبقية التي هيأت الأرضية الخصبة لكي تتمسك الطبقة البرجوازية بهذا التيار الفكري كأيديولوجية أساسية لها.فمفهوم المساواة هدمت وفسخت القاعدة إجتماعية لسلطة الطبقة الإقطاعية والنبلاء المتحالفة معها،ذلك لأنَّ مفهوم المساواة،عند (موريس دوفرجيه)أنَّما تأتي بمعنى"إذا كان كل الناس متساويين،فلن يكون هناك أي سلطة خارجة عليهم،تستطيع أن ترغمهم على الخضوع.فالسلطة لايمكن أن ترتكز إلا على موافقة أعضاء المجتمع.لاأحد يسعه ممارسة سلطة إلا بموافقة المواطنين،الذين يفوضونه حق قيادتهم:المنظومة التمثيلية والإنتخابات تنتج عن ذلك مباشرة.إنَّ

---

[54]) آلان تورين،نقد الحداثة،ت،صياح الجهيم،ج1،منشورات وزراة الثقافة،دمشق،1998،ص24.

[55])يقول(موريس دوفرجيه)بهذا الصدد((الأيديولوجيا الليبرالية هي فردانية،مرتكزة على البحث عن المصلحة الشخصية،إذ تؤكد إنَّها السبيل الأفضل لتحقيق المصلحة العامة:وهذا مايعكس تماماً مفهوم الأخاء)).موريس دوفرجيه،المؤسسات السياسية والقانون الدستوري الأنظمة السياسية الكبرى،ت،د.جورج سعد،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،1992،ص181.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المشروعية المَلَكية المبنية على الولادة،تُستبدل بالمشروعية الديمقراطية المبنية على الإنتخاب"[56].إذن هذا الإنتخاب الذي أصبح لدى(دو ستايل)[57]الفأس الذي قطع دابر النظام المَلَكي،على الأقل في فرنسا عهد الثورة،أصبح جذوة العهد الجديد الذي يمثله الأنظمة السياسية الليبرالية،هذا مايؤكده(شوفالية)بقوله:((لقد إستبعدت السيدة دوستايل جذرياً الوراثة المَلَكية لصالح الإنتخاب والاختيار الشعبي،أي إختيار ممثلين))[58].

لكن إنَّ مفهوم المساواة تلك ليست بحد ذاتها إيذاناً لإعطاء وفسح المجال لطبقة إجتماعية معينة ــ والتي هنا هي الطبقة البرجوازية ــ،لكي تصعد على سِلّم المساواتية إلى قمة السلطة السياسية في النظام السياسي الجديد،إنَّما هي تحمل في طياتها إيحاءات ضامنة وقوية لمفهوم الديمقراطية وذلك بتشديدها على ضرورة أن تقوم السلطة على موافقة أعضاء المجتمع،لا بل وأن تكون ممارستها لا تتم دون موافقة المواطنين.هذا ما يؤكده ويشدد عليه وثيقة الإستقلال للثورة الأمريكية،عندما أعلنت وبصراحة تامة بـأنَّها تؤمن إيماناً راسخاً بـ"أنَّ الناس جميعاً خُلقوا متساوين،وأنَّ خالقهم منحَهم حقوقاً ثابتة غير قابلة للتحويل،من بينها حق الحياة والحرية و السعي إلى تحقيق السعادة.وأنَّه لضمان هذه الحقوق تتشكّل حكومات من أناس يستمدون سلطاتهم الشرعية من موافقة المحكومين"[59].وفي هذا إشارة واضحة ودلالة قوية على أنَّ الليبراليون الأوائل كانوا يؤكدون على مفهوم الفرد والمواطنة أكثر من تأكيدهم على مفهوم طبقة إجتماعية بعينها،كذلك فإنَّ هذه الوثيقة جاءت لتؤكد المساواتية التي نادت بها حركة التنوير.

مماسبق يظهر جلياً كيف أنَّ وثيقة الإستقلال للثورة الأمريكية تؤكد وبوضوح على أنَّ المساواتية كمبدأ وكمفهوم ليبرالي تقوم على تلك القاعدة الأساسية والتي تتمثل في ضرورة قيام الحكومات أن تكون شرعية سلطتهم مستمدة من المواطنين أو المحكومين،فقد تؤكد الرؤية الليبرالية على"أنَّ المجتمع هو بنية من الحقوق المتساوية،يكون الجميع في ظلّها مواطنين،وليس سلسلة من

---

[56]) المرجع نفسه،ص181.

[57])وهي"جرمان نيكر ـ Germaine Neeker)،بارونة(دوستايل)،إبنة المصرفي الجنيفي والبروتستانتي الذي أصبح وزيراً للويس السادس عشر". جان جاك شوفالييه،المرجع السابق،ص139.

[58]) جان جاك شوفالية،المرجع السابق،ص140.

[59]) مجموعة من المؤلفين،الأيديولوجيات السياسية،المرجع السابق،ص33،34.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

القواعد المفروضة التي تفصل أقليّة حاكمة عن الجماهير المحكومة،ونفاذ صبرها من أولئك الذين أحاطوا السلطة السياسية بالغموض،من أمثال بيرك،بدلاً من تقييمها على ضوء مباديء مستوعبة في عقل الفرد،وكذلك إقتناعها ليس فقط بأن تكون الحكومة عرضة للمساءلة بشكل ديمقراطي،بل وأن يتمتع الأفراد أيضاً بمسؤولية كافية لتدبير شؤونهم في ميادين واسعة من حياتهم دون مساعدة من قبل دولة وصائية أو تدخليّة"[60].

إذن وفي الحد الأدنى من الناحية الفلسفية،فإنَّ الليبرالية بوصفها تياراً فكرياً تؤكد على الحقوق والحريات الفردية أكثر من تأكيدها على أي مفهوم ومبدأ آخر،كمابحثت من قبل،شكلت عاملاً أساسياً لتبلورها في إطار حركة سياسية أو تيار سياإجتماعي.فقد أدت إهتمام أغلب المفكرين و الفلاسفة الأوائل لهذا التيار بالدولة الحديثة،إلى أن تقوم،أو بالأحرى تنطلق من الاعتقاد الرئيسي بضرورة تحقيق وضمان هذه الحقوق والحريات في المجتمع الحديث،وهذا مايكشف لما دفع بـ(ت،هـ،غرين)بتقليص أو حصر دور الدولة في إطار تحقيق تلك الحقوق،فتقول((تفترض الدولة حقوقاً وحقوقاً للأفراد.إنَّها شكل يتخذه المجتمع للحفاظ على ذاته، فلا يمكن أن يمتلك الفرد سلطة تحقيق الصالح العام من تلقاء نفسه إلا من خلال إمتلاكه حقوقه))[61].هذه الحقوق إذن هو الذي يستوجب برأي هذا المفكر الليبرالي البارز أن"تتدخل الدولة لتنظيم الفلكية والحقوق الأخرى بالشكل الذي يقتضيه معنى المواطنة من قبل الجميع،ولايمكن أن تشجّع الدولة بشكل مباشر على عادات المواطنة الحقيقية،لكن يجب أن تهتم بإزالة العقبات من أمامها"[62].

تأسيساً على ماتقدم فإنَّه يمكن الوصول إلى الإستنتاج الرئيسي بهذا الصدد،وذلك بناءً على وجهة نظرنا الأعلاه،والذي تقوم على أنَّ طرح الليبراليون الأوائل،أو ماأطلقنا عليها بالليبرالية الكلاسيكية،لشعار(دولة الحد الدنى)كان يعود بالدرجة الأساس للأهمية البالغة والمركزية لقضية ومبدأ((الحرية الفردية))التي نادوا بها وتمسكوا بها كمبدأ جوهري ومحوري.وأيضاً،فإنَّه يمكن القول بأنَّ الليبراليون الأوائل ونظراً لكونهم مرتبطين أشد الإرتباط بالأفكار والطروحات الفلسفية التي جاءت بها

[60]) المرجع نفسه،ص34.
[61])نقلاً عن:ستيفن دي تانسي،المرجع السابق،ص162.
[62]) المرجع نفسه.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

حركة التنوير،بل وبعضهم كانوا من رواد هذه الحركة،لذلك فأنَّهم كانوا يريدون التأسيس لتيار أجتماسياسي تقود الحركات والثورات التي تتبنى تلك المباديء والشعارات الأساسية لها.

المطلب الثاني:الأنوار والبناء النظري للديمقراطية الحديثة

قامت فلسفة الأنوار بإحداث تأثير عميق وحيوي في الفكر الديموقراطي الحديث والمعاصر،و ذلك من خلال التفكير الفلسفي الذي وضع البنى المفاهيمية لهذا الفكر بناءً على التحولات الفكرية والفلسفية العميقة والثورية التي أحدثتها هذه الحركة عظيمة في التاريخ الإنساني.فقد أصبح الإنسان وحريته وحقوقه،وكذلك مساهمته في إدارة شؤون مجتمعه من خلال جعل تمثيله في المؤسسات الحكم المنتخبة في الدولة الحديثة،هي البنيان الأساسي للحياة في المجتمع السياسي الحديث،من لدن إهتمامات وأعمال مفكري وفلاسفة هذه الحركة.بناءً على ذلك وجدت بحث هذا الجانب من دور ومساهمة الأنوار في أحد أهم المفاهيم والقضايا المرتبطة بالليبرالية،في إطار مطلب خاص.

إنَّ الشروع في البحث النظري لمدى مساهمة الأنوار الفلسفية في تبلور وولادة الفكر والنظرية الديموقراطية الحديثة،يستوجب البدء ببحث ودراسة المفاهيم والمباديء التي تشكل أسس و جوهر الديمقراطية الحديثة،ومنها على سبيل المثال مفهوم السيادة الشعبية والمساواة والعدالة ...الخ.وبهذا الصدد لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة بصدد العلاقة بين تلك الإهتمام الواسع و العميق لدى المفكرين والفلاسفة الأنواريين وظهور الديمقراطية الحديثة أوالديمقراطية التمثيلية ،أو بالأحرى نطرح هذا الموضوع في إطار السؤال التالي:ماالذي دفع أو جعل من الديمقراطية بوصفها مفهوماً وظاهرة سياسية ونظرية،أن تلبس هذا الشكل الجديد والذي ترتب عليه التحول من الديمقراطية الكلاسيكية أو المباشرة إلى الديمقراطية النيابية ـ التمثيلية؟.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

إنَّ البحث في مفهوم السيادة الشعبية[63]سيما لدى المفكرين الأوائل الذين بحثوا فيها وتناولوها و منهم(هوبز)[64]،هيأ الأرضية الخصبة للظهور الجديد لمفهوم الديمقراطية الكلاسيكية[65]،وذلك من خلال جعل الشعب،أو الأكثرية منه،قاعدة أساسية للحكم في الدولة الحديثة.إذ نراه يقول أنَّ "صاحب السيادة هو،بنظر هوبز،رغم ضرورة بقائه مؤبداً لذاته،غير مجزأ ومطلقاً آخر المطاف[66]، من تأسيس السلطة المستمدة من الشعب،....،هكذا فإنَّ هوبز يجادل في الحقيقة مؤكداً أنَّ الشعب يحكم عبر صاحب السيادة"[67].لكن يجدر القول بأنَّ مفهوم السيادة الشعبية،ليست ذات نفس الدلالة والمعنى لدى جميع الأنواريين،إذ نجد(روسو)وبخلاف(هوبز)يرى فيها إيذاناً بولادة الأنظمة الشمولية،أو الدكتاتورية[68]،هذا ما يؤكده البعض ومنهم(آلان تورين)بالقول((من روسو تَّصدر في آن واحد فكرة السيادة الشعبية،وهي ستُغذّي كثيراً من الأنظمة الديموقراطية،كما ستغذي أيضاً أنظمة أستبدادية،وفكرة الفرد كممثل للطبيعة ضد الدولة.ومعه،يقود النقدُ الجذري للمجتمع إلى فكرة السيادة السياسية في خدمة العقل))[69].

---

[63])والتي هي بمثابة"الأعداد المباشر لمجيء الديمقراطية،إذ لامناص تقريباً من الإنتقال من الإرادة العامة إلى إرادة الأغلبية،أمّا الإجماع فيحلّ النقاش محله سريعاً،إنَّه الخلاف والتنظيم لأكثرية وأقلية".آلان تورين، ماالديمقراطية؟،ت،عبود كاسوحة،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،2000،ص37.

[64])تجدر الإشارة إلى أنَّ كل من(جان بودان ـ Jean Bodin)و(جوهان ألتوسيوس ـ Johannes Althusuis .) كانا،على سبيل المثال،قد سبقتا(جان جاك روسو)في طرح مفهومي(الحق الطبيعي)و(السيادة الشعبية).د.عايدة الجوهري،المرجع السابق،الهامش،ص88.

[65])يقصد بذلك الديمقراطية الأثينية،والتي تعرف بالديمقراطية المباشرة.

[66])يجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هوبز كان من مؤيدي الحكم المطلق.

[67])ديفيد هيلد،المرجع السابق،ص140،141.

[68])مايجدر ذكره أنَّ(كانط)أيضاً كان يقف موقفاً أكثر تضاداً وعدائية من مفهوم الديمقراطية،إذ نراه تدعوا إلى"عدم الخلط بين ((الجمهورية))و((الديمقراطية)).فبالنسبة له،الديمقراطية في جوهرها تقوم على مبدأ أستبدادي، يجعلها في تقابل مع الجمهورية التي تتأسس على مبدأي المساواة والحرية".د.خالد العبيوي،مشكلات الديمقراطية،ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات،بيروت،2015،ص9.

[69])آلان تورين،نقد الحداثة،المرجع السابق،ص31.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

يبدو أنَّ مفهوم السيادة الشعبية التي أطلق هوبز العنان لها كي تصبح أحد أهم المباديء للديمقراطية التمثيلية،أخذت تقتحم هذا المفكر في التباعد والتنافر مع الليبرالية،لا بل ونظراً لأنَّ الفهم والتنظير الهوبزي لهذا المفهوم يطمح إلى تقوية،أو بعبارة أدق يؤدي إلى التضحية بمفهوم الليبرالية من أجل الحكم المطلق[70]،وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى أنَّ موقفه كان في الواقع"بعيداً تماماً عن الليبرالية[71]:فإستنتاجاته السياسية تؤكد ضرورة وجود صاحب سيادة كلي النفوذ و السلطة إفتراضياً قادراً على إجتراح القوانين وتأمين شروط الحياة إجتماعية والسياسية.لم يكن هوبز،في الحقيقة،يطالب إخوته في الوطن بإبرام العقد،كان يطلب منهم أن يسلموا بالطبيعة المعقولة لجملة الإلتزامات المترتبة على المرء إذا افترض أنَّ عقداً كهذا سبق له أن أبرم"[72].

بخلاف(هوبز)نرى أكثر من مفكر وفلاسفة داخل حركة التنوير،يقفون موقفاً مناهضاً من مفهوم السلطة المطلقة و وجود صاحب سيادة كلي النفوذ،ذلك من أجل التأكيد على الأفكار والمباديء الأساسية التي نشأت من أجلها هذا التيار الحداثوي،وفي إطار الرد على ذلك الآراء والتوجهات الفكرية هناك من يرى ومنهم(بول هازار)بأنَّ"السلطة المطلقة التي ترفض هذا الحق[73]بالدعوة،بكل بساطة و وضوح لاتتناسب مع المجتمع المدني،والحق الإلهي الذي ينادي به الأحبار الكاثوليك،لا يبرّر بأي شكل سلطة رجل واحد على بقية الناس،إنَّ السلطة يجب أن يكون مراقبة وموزعة،مثلما هي في بريطانيا العظمى:تشريعية

[70])في الإشارة إلى دفاعه المميت عن الحكم المَلَكي المطلق في إنكلترا،فهو كان من المناصرين الشداء لهذا النظام.

[71])مع هذا فإنَّه كان مواقفه العملية تجسد في الحقيقة سيادة التوجه اللاديمقراطي،و ذلك بدليل موقفه المزدري و اللاذع من أول حركة ديمقراطية في التاريخ الحديث،فنراه يصف أعضائها بـأنَّهم"السادة الديمقراطيين المحترمين الذين يمارسون الخيانة ويحرّضون على الحرب الأهلية".جون س .درايزك،باتريك دانليفي،نظريات الدولة الديمقراطية،ت،هاشم أحمد محمد،ط1،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2013،ص48.

[72])ديفيد هيلد،المرجع السابق،ص142.

[73])يقصد بذلك الإتفاق الذي تنازل بموجبه كل فرد من المجتمع في الحالة الطبيعية عن سلطته الطبيعية و وضعها بيدي المجتمع ـ الحاكم الذي يحكمهم ـ،ذلك في مقابل ضمان الأمن والحرية.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

وتنفيذية.فإذا لم تتصرف السلطة التنفيذية طبقاً للأهداف التي من أجلها أنشئت،وإذا تطاولت على حريات الشعب،عندئذ يجب إنتزاعها من يدي الذي يحملها"[74].

يتمتع البحث في الجانب النظري من مفهوم الديمقراطية،وكذا الليبرالية،بأهمية كبيرة،إذ أنَّه يساهم في تحديد الأسس الحقيقية التي قامت عليها الديمقراطية الحديثة من جهة،ومن جهة أخرى فإنَّ البحث في موضوع الديمقراطية الحديثة،أوالديمقراطية التمثيلية،وإسهاماتها في ظهور و تبلور الليبرالية،يتطلب البدء بدراسة أهم التغيرات التي طرأت على مفهوم الحق على أثر،أو في أعقاب ظهور الحقبة الجديدة والتي باتت تعرف بعصر النهضة وما أحدثتها من تغيرات عميقة و راديكالية في شتى مجالات الحياة في المجتمعات البشرية التي قامت فيها.ذلك لأنَّه وكما يذهب إليه البعض ومنهم(رونيه دولا شاريير)بأنَّ"أكثر المفاهيم الأساسية المرتبطة بالنظرية الديمقراطية الحديثة وفي مقدمتها السيادة الشعبية إنّما تقوم على هذا المبدأ،أو بعبارة أدق أنَّها تعتبر أول مبدأ للحق،وبالتالي عنها تنشأ الحقوق الأخرى،بحيث أنَّ سيادة الدولة تنشأ عن السمة الديمقراطية هذه،ولا تكون إلا إنعكاساً لها"[75].

فوفقاً لليبراليين الأوائل فإنَّ مهمة الدولة"ينحصر حول مسألة الحقوق التي تضمن الحريات،و تترجم إلى عدة قوانين ومباديء دستورية كتلك التي نجدها في المجتمعات الليبرالية،مثل حرية الفكر،والإختيار،والتجمع،والإقتناء،والممارسة الجنسية،والإجهاض..الخ "[76].

تشكل مفهوم الحقوق القضية والمطلب الذي أصبح تستحوذ على التفكير والتأمل النظري لدى أغلب مفكري وفلاسفة العصر الحديث،سيما الأنواريون،وبهذا شكل القضية المركزية لدى هؤلاء المفكرين والفلاسفة،ومن ثم تحولت إلى قاعدة وبناء نظري حيوي وجوهري للفكر الديموقراطي المتولد عن تلك الحركة[77]،بل وشكل المطلب الرئيسي والدينامكي في الحياة السياسية الحديثة.و بهذا الخصوص ولأهمية

---

[74])بول هازار،أزمة الوعي الأوروبي،ت،د.يوسف عاصي،الكتب الألكترونية،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، 2009،ص10.

[75])رونيه دولا شاريير،دراسات حول النظرية الديموقراطية،ت،د.حافظ الجَمالي،ط1،دار طلاس للدراسات والترجمة و النشر،دمشق،1986،ص32.

[76])عدنان عويد،المرجع السابق،ص130.

[77])في الإشارة إلى حركة الأنوار الفلسفية.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

ذلك المفهوم،فإنَّ(بول هازار)يقول((أنَّ الفلاسفة الجدد حاولوا أن يستبدلوا بحضارة مرتكزة على فكرة الواجب:الواجبات نحو أله،والواجبات نحو المَلك،حضارة ترتكز على فكرة الحقوق، حقوق الوعي الفردي،وحقوق النقد،وحقوق العقل،وحقوق الإنسان و المواطنة))[78].

في السياق نفسه،لقد أدى إستمرار المناقشات والحوارات الفكرية والنظرية بين المفكرين و فلاسفة عصر الأنوار في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى ولادة مفهوم((القانون الطبيعي))، هذا القانون الذي يوصفه (جان كابيتان)بأنَّه عبارة عن"مدرسة فردية النزعة بكل معنى الكلمة، فعندما نتكلم عن الشعب، فهي تشير إلى مجموع الأفراد.فالفرد كفرد له الحقّ في أن يقدّر الأنظمة.و الفرد له الحق بأن يقيم الدولة،له الحق في أن يغيّرها"[79].عليه يظهر بأنَّ جوهر وأسس،أو بالأحرى المحتوى الحقيقي لهذا القانون هو التأكيد على مفهوم الحرية والحقوق الفردية أكثر من التأكيد على حرية الشعب،و ربّما هذا بعينه يشكل نقطة خلاف جوهرية لمفهوم الديمقراطية الحديثة ـ التمثيلية ـ عن الديمقراطية الكلاسيكية ـ المباشرة ـ.

وإرتباطاً بمفهوم الحرية تلك،تجدر الإشارة إلى أنَّها وفي نظر وتفكير(جون ستيوارت ميل)الذي هو أحد مفكري الليبراليين الأوائل،تصبح أحد المفاهيم الإشكالية في النظرية الديموقراطية الحديثة،هذا مايشير إليه(موريل رامبور ــ Muriel Rambour)عندما يقول((على الرغم من رفضه[80]للديمقراطية الحديثة التي يعتبرها"ديكتاتورية الأغلبية"فإنَّه في مقابل ذلك يستميت في الدفاع عن الحرية بإعتبارها حرية أساسية وأساساً للتقدم))[81].

عليه يمكن التأكيد لنقطة مهمة بهذا الصدد وهي أنَّ أساس الليبرالية هي الوقوف على مفهوم الحرية الفردية ومبدأ الحقوق الفردية،وضمان تحقيقهما وصيانتهما في الدولة الديمقراطية الحديثة والمعاصرة،لكن ذلك لايتم ولايمكن الوصول إليه من دون التحقيق الفعلي للمشاركة السياسية الحقيقية

---

[78])بول هازار،المرجع السابق،ص342.

[79])نقلاً عن:د.منذر الشاوي،الدولة الديموقراطية في الفلسفة السياسية والقانونية،ط2،شركة المطبوعات للتوزيع و النشر،بيروت،2013،ص51.

[80])في الإشارة إلى(جون ستيوارت ميل).

[81]) الناصر عبد اللاوي،المرجع السابق،ص89.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

والمساواة والعدالة إجتماعية و التمثيل الشعبي في إطار الهيئات أو المجالس التشريعية وكذلك القاعدة الدستورية للحكم.

لكن أنَّ ذلك الهدف والمطلب الأساسي لليبرالية والتي إستمدتها،أو تبنتها تحت التأثير المباشر للفكر الأنواري،كما تمت بحثها،تعرضت ليست فقط للتشويه والملابسات الكثيرة والعميقة،بل للإقصاء والإستبعاد العميقين،وذلك بسبب ظهور الطبقة البرجوازية كأحد أهم إفرازات نشأة النظام الرأسمالي،إذ وكما يقول هابرماس((إنَّ تصوراً للديموقراطية مؤسساً على نظرية المنافسة هو الذي يحدد مشروعية السياسة الديموقراطية))[82].وفي هذا إشارة واضحة إلى المنطق الذي تقوم عليه هذا النظام والذي هو السبب الرئيسي لذلك الإقصاء والتهميش الخطير لذلك المطلب الأساسي والجوهري،فمما لاشك فيه هو أنَّ"أنَّ المجتمع الصناعي أصبح تحكمها مبدأ المصلحة والربح،والذي يتجاوز فيه صناع القرار كل القيم الأخلاقية الثاوية في مباديء العقل العملي ويرتهنون إلى الآلية بماهي الفضاء الأرحب للرأسمالية،التي تسير وفق منطق تحقيق رفاه المدينة المعاصرة التي تتشكل وفق منطق"قدرة على زيادة الرفاه وتعميمه"وهي قيم تأكدت وجوباً في الأنظمة الكليانية التي تمتلك المؤسسات والتكنولوجيا والسواق الخارجية"[83].

بناءً على ما سبق بحثه،وإعتماداً على الأفكار النظرية لهؤلاء المفكرين والفلاسفة الرئيسيين للتيار الحداثوية السياسية،يمكن الوصول إلى عدة إستنتاجات،أهمها تفيد بأنَّ الديمقراطية الحديثة كانت تستند في ظهورها وتبلورها وبشكل أساسي على مفهوم السيادة الشعبية،أمّا الليبرالية،وسيما الليبرالية الكلاسيكية،فإنَّها تستند في ظهورها ونشأتها على مفهوم الحرية ومبدأ الحقوق الفردية.بمعنى آخر مثلما أنَّ السيادة الشعبية،سيمّا لدى(روسو)،كانت تجسد وتولج إلى الديمقراطية أكثر من تجسيدها لليبرالية،فإنَّ(الحرية والحقوق الفردية)تجسد وتولج إلى الليبرالية أكثر منها إلى الديمقراطية،يترتب على ذلك أيضاً أنَّ للديمقراطية الأسبقية في الظهور،ومن ثم التأثير في الليبرالية.إنَّ العصر الحديث وما أحتوت عليه من حركة فكرية وفلسفية قوية بجانب ثورة حضارية أفرزت عنه العمل في ميدانين رئيسيين:الأول جعل الإهتمام بالفرد وحقوقه وحرياته يفوق أي شيء آخر،وثانيهما هو التركيز على جعل الشعب المعيار

[82])المرجع نفسه،ص96.
[83])المرجع نفسه،ص97.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

الأول وذلك من خلال التحقيق الفعلي لمفهوم السيادة الشعبية.ومنهما نتجت أو تبلورت تيارين رئيسيين،الأول تدعوا إلى التركيز على تحقيق وصيانة الحقوق والحريات الفردية داخل النظام الدولتي الحديث،والثاني يعمل من أجل جعل النظام السياسي في الدولة الحديثة يقوم على حكم الأغلبية من الشعب،أي بعبارة أدق تحقيق التمثيل الشعبي في الحكم،سميت الأول بالليبرالية،والثاني بالديمقراطية.

أهم الإستنتاجات

في نهاية هذا البحث نتوصل إلى إستنتاجات عديدة،يمكن تلخيصها في الآتي:ــ

1ــ جاءت الأنوار وبوصفه فكراً تقدمياً وفلسفة إنسانية،لتقف بوجه كل ما أنتجته ونشرته مرحلة العصور الوسطى المعروفة بالقرونوسطوية من أفكار وممارسات وعادات وقيم تقوم على كبت الإنسان وإغلال وجوده وعقله بسلاسل أحكام وإعتقادات التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية.فقد كانت هذه المرحلة تحكمها هذه المؤسسة ورجالاتها الكهنوتيين،في بعدها الروحي والفكري،و مؤسسة الإقطاع والنبلاء المتحالفة معها في بعدها السياسي والإقتصادي والإجتماعي.وبهذا فالأنوار أصبحت ليست فقط مرجعاً ومنبعاً فكرياً وفلسفياً لليبرالية بوصفها تياراً فكرياً وفلسفياً ،وإنّما وسيلة فعالة ومؤثرة بيدها لمحاربة تلكم المؤسسات الرئيسة القرونوسطوية.

2ــ تشكل الحرية الفردية أهم مفهوم وقضية تبنتها الليبرالية،ولا تزال تقوم بتبنيها والدعوة إليها،حتى لوكانت في إطار النظري،بحيث أنّها أصبحت بمثابة المعيار الرئيس للحكم على تجسيد هذا الإتجاه بها أو عدمها.هذه الأهمية الحيوية والمركزية لمفهوم وقضية الحرية الفردية دفع بـ(جون راولز)أبرز المفكرين المعاصرين لهذا الإتجاه إلى أن تبحث في إيجاد حلول منطقية نظرية للإشكالية التي تعاني منها الليبرالية بهذا الخصوص،إذ وصلت بأن تقول بأنَّ هناك الحرية الطبيعية الحقيقية والتي تختلف عن الحرية الصوّرية،حيث الأول هي النسق الحقيقي للحرية و تجسدها الليبرالية المستدامة،والثاني هي النسق المزيف لها وتمثلها الليبرالية المتوحشة.

3ــ لقد نتجت عن الإشكالية الموجودة بين الحرية الفردية والإتجاه الليبرالي،والنقاشات والحوارات العميقة التي أوجدته طيلة فترة ظهور الليبرالية وإلى الآن،أن حدثت تحول مهم في الفكر الليبرالي بهذا لاصدد،والذي تتمثل في التحول من الحرية الفردية إلى الحرية الجماعية.لكن هذا التحول ظّلت حبيسة إشكالية أخرى تتمثل في أنّها،أي الحرية الجماعية،تحمل مصالح الطبقة

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المسيطرة في النظام الرأسمالي العالمي.وهذا ماشكل أحد وأهم مقومات الليبرالية السياسية،والتي تمخضت عنها تحول الليبرالية إلى طيف سياسي رئيسي في الحياة السياسية في الديموقراطيات المتقدمة والديموقراطيات الليبرالية،وهذا الطيف تضم في ثناياها كل من التيار اليميني المتطرف والتيار اليساري أنصار ليبرالية العدالة إجتماعية.

4ــ أدت سياة الأنظمة المستبدة والمعروفة بالمَلَكيات المطلقة في الحقبة التي سبقت الثورة الفرنسية،من ناحية،وظهور الحركة التجارية والثورة الصناعية العظيمة في إنكلترا من ناحية ثانية ،إلى أن تنجح الطبقة البرجوازية في أن تقود تلك الحركات والثورات التي تطالب بالحرية والمساواة والعدالة.وهذه العملية،أو التطور الجوهري في الصعيد السياسي فسحت المجال لهذه الطبقة كي تعتنق الأفكار والمباديء المجسدة للحقوق والحريات تلك،والتي تبنتها وكانت تدعو إليها الليبرالية.وبما أنَّ الحقوق السياسية والحرية الفردية لايمكن تحقيقها دون وجود لمشاركة سياسية حقيقية والمساواة السياسية والتمثيل الشعبي في إطار الهيئات والمجالس المنتخبة، لذلك أصبحت لزاماً على التيار الليبرالي أن تثبت وتبرز جديتها وصدقها في تبني تلك المباديء و القيم،التي هي أنواري المنشأ والأصل.

5ــ لقد مثلت مفاهيم السيادة الشعبية والمساواة والعدالة،التي أصبحت مثار إهتمام قسم أكبر من مفكري وفلاسفة حركة الأنوار،أهم أسس ومقومات الديموقراطية الحديثة ــ التمثيلية ــ .وإرتباطاً بذلك فإنَّ مفهوم السيادة الشعبية،على سبيل المثال،قد فتح الباب أمام مفكري الأنوار ليولو الإهتمام الواسع بمفهوم الحقوق،وهذه الأخيرة لايمكن البحث فيها أو إتمامها نظرياً وتطبيقياً دون البحث في مفهوم الحرية،والتي أصبحت أحد الإشكاليات الرئيسة لدى المفكرين والمنظرين الليبراليين عند بحثهم وتفكيرهم بالديموقراطية الحديثة.إذ أنّ حدوث الترابط الوثيق بين الليبرالية بوصفها إتجاهاً فكرياً وفلسفياً والليبرالية بوصفها تياراً أجتماسياسياً تمثلها الطبقة المهيمنة تلك في المجتمع الرأسمالي،أن أدخلت الليبرالية في تناقض عميق وشائك مع مفهوم ومبدأ الحرية، ذلك بسبب السياسات وممارسات الطبقة البرجوازية من إقصاء وإستعباد عميقين لمفهوم وقضية الحرية.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

المراجع:ـ

1ــ آلان تورين،نقد الحداثة،ت،صياح الجهيم،ج1،منشورات وزراة الثقافة،دمشق،1998.
2ــ آلان تورين،ماالديمقراطية؟،ت،عبود كاسوحة،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،2000.

3ــ أندرو هيود،مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية،ت،محمد صفار،ط1،المركز القومي للترجمة، القاهرة،2012.

4ـ بول هازار،أزمة الوعي الأوروبي،ت،د.يوسف عاصي،الكتب الألكترونية،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت، 2009.
5ـ جان توشار،لويس بودان،بيار جانين،وآخرون،تاريخ الفكر السياسي،ت،د،علي مقلد،ط1،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، 1981.

6ــ جان جاك شوفالييه،تاريخ الفكر السياسي،ت،د.محمد عرب صاصيلا،ط3،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت،2002.

7ــ جورج بوليتزر،فلسفة الأنوار،ت،جورج طرابيشي،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، 1974.
8ـ جورج سباين،تطور الفكر السياسي،ت،راشد البراوي،الكتاب الرابع،دار المعارف،مصر،1971.

9ـ جون س .درايزك،باتريك دانليفي،نظريات الدولة الديمقراطية،ت،هاشم أحمد محمد،ط1، المركز القومي للترجمة،القاهرة،2013.

10ــ جون ستيوارت مل،الليبرالية السياسية،ت،د.إمام عبدالفتاح إمام،د.ميشيل مسياسي،مكتبة مدبولي،القاهرة، 1996.

11ــ د.خالد العبيوي،مشكلات الديمقراطية،ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات،بيروت،2015.

12ــ خوسه أورتغا إي غاسيت،تمرد الجماهير،ت،علي إبراهيم أشقر،ط1،دارالتكوين،دمشق،2011.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

13ــ ديفيد هيلد،نماذج ديمقراطية،ت،فاضل جتكر،ج1،ط1،معهد الدراسات الإستراتيجية، بيروت، 2006.

13ــ رونيه دولا شاربير،دراسات حول النظرية الديموقراطية،ت،د.حافظ الجَمالي،ط1،دار طلاس للدراسات والترجمة و النشر،دمشق،1986.

14ــ ستيفن إريك برونر،النظرية النقدية مقدمة قصيرة جداً،ت،سارة عادل،ط1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2016.

15ــ ستيفن ديلو،تيموثي ديل،التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني،ت،ربيع وهبه،ط1،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2010.

16ــ سيبرتان غيوم بلان،الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين،ت،عزالدين الخطابي،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،2011.

17ــ د.عامر عبدزيد،الحداثة ومأزقها في خطاب مدرسة فرانكفورت،ط1،تموز طباعة نشر توزيع، دمشق،2013.

18ــ د.عايدة الجوهري،اليسار الماهية والدور،ط1،دار الفارابي،بيروت،2016.

19ــ عدنان عويد،الليبرالية المعاصرة:رؤية نقدية،النهج،مجلة،مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي، العدد(22)،ربيع(2000)،دمشق.

20ــ د.علي محمود المحمداوي،الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس نموذجاً،ط1،منشورات الإختلاف،الجزائر،2011.

21ــ د.كمال بومنير،جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت،ط1،منشورات الإختلاف،الجزائر،2010.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

22ـ مجموعة من المؤلفين،الأيديولوجيات السياسية،ت،عباس عباس،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2009.

23ـ محمد عثمان محمود،العدالة إجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر، ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت،2014.

24ـ مجموعة مؤلفين،الفلسفة السياسية المعاصرة،تحرير،د،علي عبود المحمداوي،ط1،إبن النديم للنشر والتوزيع، بيروت،2012.

25ـ مراد دياني،حرية ـ مساواة ـ إندماج إجتماعي،ط1،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت،2014.

26ـ موريس دوفرجيه،المؤسسات السياسية والقانون الدستوري الأنظمة السياسية الكبرى،ت، د.جورج سعد،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،1992.

27ـ د.منذر الشاوي،الدولة الديموقراطية في الفلسفة السياسية والقانونية،ط2،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2013.

28ـ الناصر عبد اللاوي،الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس،ط1،دار الفارابي،بيروت،2012.

ثوختة

رؤشنطةرى وةك زريانيَكى بةهيَزى شؤرِشطيَرانة توانى هةموو ئةو داب و هزر و نةريتانةى دامةزراوةكانى دةستةلآتى دةرةبةطايةتى و كلَيَساى كاسؤليكي كةبةدريَذايي ئةوماوةيةى بة سةدةناوِراستى دةناسريَت،بةشيَوةيةكى ريشةييانة رامالَيَت و،بةوةش ئةم بزاوتة كة بة بزاوتى رؤشنطةرى فةلسةفى هاتؤتةناسين،بوارى لةبارى رةخساند بؤ هاتنةئاراى ستردةميَكى نوآ كة داب و ثرةنسيثطةليَك نويَى وةستاو لةستر ئامانجة طةوهةريةكانى رؤشنطةرى ثةيوةنددار بة ثيَشكةوتن وستربةستى وعةقلَطةراييةوة،جولَةثيَكةر وخؤراكدةريَتى و،ئةوةش بةئامانجى رزطاركردنى مرؤظ وطةِراندنةوةى شويَن و ثايةى راستينةى،ثاشانيش خؤي بوونةخاوةنى خؤى.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

لةراستيدا رؤشنطةرى لةو كؤمةلَطانةى كةتيايدا هاتؤتةئارا،طؤرانيَكى شؤرِشطيَرانة و مةزنى لةهةموو بوارةكانى ذياندا هيَناوةتة رودان و،لةو كردةى طؤرانةش ضةندين رةوت وخويَندنطةى هزرى وفةلسةفى هاتؤتةدامةزراندن و دةركةوتنةوةو،هةروةها ريَبازطةليَك كؤمةلآيةتى راميارى كة كاريان لةسةر دريَذةثيَدانى ئةو ثرؤذة ثيَشكةوتنخواز وشؤرِشطيَرانةية كردوة.ليبراليزميش يةكيَك بوة لةطرنطترين ئةو ريَبازانة،لةثالأ خويَندنطةى ماتيرياليستة فةرةنسيةكان.بةلآم سةرباري ئةوةى كة ليبراليزم و،بةتايبةتيش نموونة كلاسيكيةكةى،لةقؤناغى يةكةميدا،توانى كارامةيى و تواناداريَتى خؤى لة تيَكؤشان بؤبةديهيَنانى ئةو ئارمانجة طةوهةريانةى رؤشنطةرى نيشانبدات، بةتايبةتيش ثرسى سةربةستى تاك،كةضى هةموو ئةو هةنطاوانةى كةئاراستةطةرى ليبراليزم ناويَتى و ثيَيرابووة،لةجولَةناوةكةيدا لةسةرئاستى هزرى و فةلسةفى لةثيَناوى بةرجةستةكردنى زيندوئاميَزانة وكردةييانةى ثرةنسيث و دابةكانى رؤشنطةرى،ئةوا توشى ثيَكدادان بوة لةطةل ئةوةى كةلةضينى بؤرذوازى نويَنةندةى رةوتة كؤمةلآيةتية راميارية‌كةيةوة دةرضوة،لة خوازة و ئارمانجطةليَك تةواوناكؤك لةطةلَ باوةرِ وداب وئارمانجة طةوهةريةكانى رؤشنطةرى فةلسةفى.

Abstract

The Enlightenment had been like strong and revolutionary storm basic overwhelm of all ideas, principle, tradition and values which seeded and disseminate by the feudal constituents and Catholic church, throughout med century which knowing in().Thus this movement which had knowing as Enlightenment philosophical movement, paved the way to stand the new center, which nourished and provided with new value and principle standing on the Enlightenment's essential aims or goals which would relating with rationalism, progressive and liberty, that’s in order to liberating the human and to return its suitable dignity, and making him owner of himself.

Confidently the Enlightenment caused a giant and revolutionary changing in all live sphere in those society which taken it, so with through this changing proses many philosophy and ideal paradigm and tendency had been emerging and rising, and such society and political tendency which binging working on continue that humanity progressive and revolutionary project.

مجلة قەڵای زانست العلمية
مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن الجامعة اللبنانية الفرنسية – اربيل، كوردستان، العراق
المجلد (3) – العدد (4)، خريف 2018
رقم التصنيف الدولي: ISSN 2518-6566 (Online) - ISSN 2518-6558 (Print)

Liberalism, beside the French materialist paradigm, was one important of these tendency. However and in spite of that the liberalism, especially the classical paradigm of it, and in its first stage, had been illustrate its enforcement and skill in its efforts to achieve that real goals of Enlightenment, especially the individual liberty case, but all Liberalism tendency commence and fulfill attempts in ideal and philosophy level in order to really and dynamical incorporation for Enlightenment value and principles in its movements, had been clashing with aims and desires which dissenting from its sociality political trend which represented by Brogues class, contradicted entirely with those essential goals or values and principles for Enlightenment Philosophy.